الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جماليات المكان في رواية "المقبرة البيضاء"

لأحمد زغب

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

* كوثر فرحات

إشراف الدكتور:

* يوسف بديدة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصّفة
د. عبد الكريم شبرو	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	رئيساً
د. يوسف بديدة	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	مشرفاً ومقرّراً
د. يوسف العايب	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1436 ـ 1437هـ / 2015 ـ 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

المجادلة: 11

الإهداء

أهدي هذا البحث المتواضع لعائلتي قرة عيني

أمي وأبي

إخوتي وأخواتي

أسال الله عز وجل أن يحفظهم لي وأن يراعهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة

إلى جميع زميلاتي وزملائي
إلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي وكل طلبة الأدب العربي وخاصة طلبة ماستر الأدب الحديث والمعاصر.

-كوثر-

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى والدي العزيز لمساعدته لي في إتمام هذا البحث .

كما أتوجه بكل عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور الفاضل: **يوسف بديدة** الذي قصدته لأجل علمه فأخذت منه قبل ذلك أدبه وأخلاقه وتواضعه، حيث لم يبخل علي في إرشادي وتوجيهي أثناء عملي في البحث .

و الشكر الجزيل وكل الاحترام والتقدير للدكتور **أحمد مرغب** لتفضله علي بنسخة من الرواية أثناء دراستي لها .

مقدمة

قبل كل شيء، أحمد الله عز وجل وأثني عليه ثناء يليق بجلال وجه وعظيم سلطانه على أن بلغني مرحلة كتابة مقدمة هذا البحث، بعد أن كانت بداية خطواتي متعثرة لأسباب بعضها يعود للاتساع الكبير لهذا الموضوع وبخاصة في هذه الرواية، وبعضها يعود إلى عوائق اجتماعية خالصة مما أدى إلى تأخري في إنجازه، وبعد:

حين نلفظ كلمة "مكان" فإن أول ما يخطر ببالنا هو ذلك الموقع المرئي و الملموس كأن يكون سهلا، جبلا، صحراء، مدينة، قرية أو بيتا...وربما قد يخطر ببالنا " البحر " غافلين في كل الأحوال عن السماء والفضاء، وغير مدققين في مركباته وحيثياته.

إن الكون بأكمله يشهد حضور المكان لأنه لولا وجوده لما وجدت الحياة، وربما كان نزوع الإنسان لتحديد وجوده في هذا الكون، ومحاولته إدراك علاقته بما يحيط به دفعا لإنشاء أنماط متنوعة من الأمكنة التي تعبّر عن فهمه للوجود وعلاقته ببيئته ومجتمعه، وقد عبّرت تنويعات المكان عن رغبة الإنسان منذ القديم في التعبير عن ذاته ومشاعره، أفكاره وأحلامه، والرواية بدورها تعمل جاهدة لتكون نسخة من عالم المكان، إذ يعد المكان الروائي ركنا أساسيا ورئيس من أركان الرواية، بحيث لا يمكن أن تلغي صلتها بهذا العنصر، فحين تفقد الرواية المكانية فهي بذلك تفقد الخصوصية وبالتالي أصالتها.

يضفي المكان بعداً جمالياً للرواية ويتفاعل مع الزمان والشخصيات والحدث باعتباره ركيزة أساسية في النص ليكتمل المشهد في مخيلة القارئ، والمكان المقصود في الرواية يكون واقعياً، محسوساً ''هندسياً''، أو يشيّده الروائي وجدانياً بذكائه وأسلوبه في استدراج القارئ إلى معالمه، ويكتشف القارئ عبقرية الروائي من خلال الدلالات الفنية التي يشعر بها من أسلوب كتابته في رسم المكان ومدى تأثيره في الرواية فهو ليس مجرد ديكور أو عامل إضافي يكمّل البناء الروائي بل هو العصب الرئيسي الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض، كما يعد الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث، لأن الصراع في العمل الروائي بين الشخصيات لا يحدث في الفراغ، بل يضمه مكان محدد.

لقد حرص الكاتب في الرواية المدروسة في أثناء تشكيله للمكان الذي تجري فيه الأحداث على أن يكون بناؤه منسجماً مع الزمن وطبائع شخصياته، ذلك لأنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين العناصر السردية والمكان.

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع رغبتي في تقديم دراسة تتمركز حول تحديد مفهوم المكان الروائي وتسليط الضوء على أهميته كأحد العناصر السردية في الرواية، والكشف عن طريقة الراوي في توظيف جمالية المكان، وعلاقة انسجامه مع العناصر السردية الأخرى، وذلك من خلال مدونة تنتمي إلى الأدب الجزائري "المحلي"، وهي رواية "**المقبرة البيضاء**" للروائي أحمد زغب

وقد كانت لهذه الأسباب الموضوعية دوافع ذاتية ساندتها، تتمثل فيما يلي:

-ميلي نحو الدراسات السردية وذلك أن الرواية في الأساس هي بناء مكاني جمالي.

- إضافة إلى رغبتي الملحة في دراسة هذا العنصر السردي "المكان" واهتمامي الأكبر هو أن ادرسه في مدونة من الأدب الجزائري وخاصة المحلي.

وقد كانت نقطة انطلاقي في بحث هذا الموضوع من خلال طرح إشكالية رئيسية وهي: ما هي الدلالات الجمالية المكانية العامة التي حملتها رواية المقبرة البيضاء؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية تمثلت فيما يلي:

- ما هو مفهوم المكان وأهميته وأنواعه؟

- ما البعد الجمالي الذي حمله مكان المقبرة؟

- ما هي الدلالات الجمالية العامة التي حملتها الأمكنة الموظّفة في رواية المقبرة البيضاء؟

- ما طبيعية العلاقة بين المكان والعناصر السردية الأخرى؟

للإجابة على هذه الإشكالات وغيرها، يأتي هذا الموضوع – محاولة في دراسة، بحث – وقد وسمته بـ: عنوان جماليات المكان في رواية "**المقبرة البيضاء**" للدكتور أحمد زغب.

ولأن البحث يحتاج إلى خطة تحدد اتجاه معالم الدراسة فيه فقد جاءت خطة البحث مكونة من مقدمة وفصلين (نظري وتطبيقي) وأخيرا خاتمة لأهم النتائج.

أما **الفصل الأول** الذي عنونته بـ: " مدخل إلى المكان الروائي "حاولت فيه رصد أهم التعاريف والمفاهيم النظرية المتعلقة بالمكان، وقد قسمته بدوره إلى مبحثين، حيث كان المبحث الأول موسوما بـ: "مفهوم المكان وأنواعه" و تناولت فيه مفهوم " المكان " في اللغة والاصطلاح، وتعرضت لأهمية المكان الروائي وكذا أنواعه، أما المبحث الثاني المعنون بـ: "علاقة المكان بالعناصر السردية"، فقد تطرقت فيه إلى مفهوم الشخصية، ومفهوم الزمن و مفهوم الحدث.

ويأتي **الفصل الثاني** الذي وسمته بـ: علاقات المكان بالسرد الروائي وكانت الدراسة فيه مقاربة تطبيقية، حيث تناولت الحديث عن مظهر المكان وعلاقته بالعناصر الأخرى في رواية "**المقبرة البيضاء**"، وقد قسمته إلى مبحثين، حيث عنونت الأول بـ: "جمالية اختيار الأمكنة السردية في الرواية" ودرست فيه جمالية العتبة المكانية والبعد الروائي للمقبرة وكذا أنواع الأمكنة في الرواية، أما الثاني فقد تناولت فيه علاقة المكان بالعناصر السردية في الرواية المدروسة حيث درست علاقة المكان بالشخصية ثم علاقة المكان بالزمن وأخيرا علاقة المكان بالحدث.

وقد اعتمدت في دراستي في هذا البحث على المنهج الوصفي المدعوم بالمقاربة التأويلية، حيث قمت من خلاله بتقديم صورة للمكان الروائي في رواية "**المقبرة البيضاء**" وتأويليها، من أجل الوقوف على طريقة الراوي في بناء الأمكنة، وإبراز دورها في بناء العمل الروائي، إلا أن هذا لا يعني التزامي الحرفي بهذا المنهج فقد قمت بالاستفادة من مناهج أخرى كلما دعت الحاجة لذلك خدمة للمدونة المدروسة كالمنهج السيميائي والمنهج النفسي .

وقد اعتمدت في هذا البحث على عدة مراجع أهمها:

- "بنية الشكل الروائي" لحسن بحراوي.

- "جماليات المكان" لـ غاستون باشلار.

- "جماليات المكان في روايات حنا مينه لمهدي عبيدي.

- بحوث تناولت موضوع المكان، عبر المجلات منها:

- "المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر" لخالدة حسن خضر.

- "الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة" لصلاح الدين بان محمد حمدي.

وقد اعترضتني في أثناء البحث بعض الصعوبات من بينها:

-انعدام الدراسات المتخصصة في الرواية المدروسة.

- قلة الدراسات والأبحاث المعالجة لعنصر المكان، فقد اهتم معظمها بالزمن والشخصية والحدث.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور "يوسف بديدة" على إشرافه على هذا البحث وعلى كل النصائح والتوجيهات التي قدمها لي، كما أتقدم بالشكر والامتنان للجنة المناقشة لتفضلهم بقراءة هذا البحث المتواضع وكلي ثقة أن ملاحظاتهم ستسد ثغراته وتقومه إلى الأفضل.

-وأخيرا أسال الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد-

الفصل الأول

المدخل إلى المكان الروائي

المبحث الأول: مفهوم المكان وأنواعه

أولا: المكان في اللغة والاصطلاح

ثانيا: أهمية المكان الروائي

ثالثا: أنـــواع المـــكان

المبحث الثاني: المكان والعناصر السردية الأخرى

أولا: مفهوم الشخصية

ثانيا: مفهوم الزمن

ثالثا: مفهوم الحدث

المبحث الأول: مفهوم المكان وأنواعه

أولا: المكان في اللغة والاصطلاح

1- المكان في اللغة:

تعددت التعريفات اللغوية للفظة **"المكان"** في معظم معاجم اللغة العربية، ومما لوحظ أن معظم هذه التعريفات تتشابه كثيرا إلى حد التطابق.

نذكر من هذه المعاجم، "لسان العرب" لابن منظور حيث يقول: «والمكان – الموضع – والجمع أمكنة – وأماكن الجمع والعرب تقول: كن مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من "كان" أو موضع منه، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية»[1].

كما يقول الزبيدي في قاموسه "تاج العروس": «المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها زائدة».[2]

أما الفيروز أبادي فيقول في "القاموس المحيط": «إن المكان الموضع جمع أمكنة وأماكن، وأمكنة من الشيء فتمكن واستمكن»[3].

وعند أحمد رضا في معجم "متن اللغة": «المكان الموضع الحاوي للشيء جمع أمكنة ومكن وجمع الجمع أماكن»[4].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 13، ص: 414.

[2]- الزبيدي، تاج العروس، تر: علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، باب النون، مجلد 18، (د-ط)، (د- ب)، 1994، ص: 488.

[3]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ج2، 1997، ص: 1622.

[4]- أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، المجلد 5، ص: 334.

ويقول صبحي أنطوان: «ومكان جمع أمكنة، جمع أماكن، وهو موضع (مفعل من كون) مكان الجريمة، مكان لقاء هو من العلم بمكان، أي له فيه مقدرة ومنزلة، هذا مكان هذا أي بدله»[1].

نستنتج من خلال التعريفات السابقة أن التعريف اللغوي حاول جاهدا أن يضبط مصطلح المكان معجميا، وأن المكان يعني الموضع أو الموقع الثابت، القابل للإدراك والإحساس.

2- المكان في الاصطلاح:

اختلفت التعريفات الاصطلاحية، وتعددت الآراء حول مفهوم المكان اختلافا بينا، وذلك لأهميته الكبيرة في البناء الروائي، فقد شغل أهمية بالغة لدى النقاد والأدباء، «فهو من أهم المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات، والبحوث»[2]، ونتيجة لأهمية هذا المكون الروائي تطرقنا إلى تعريفه من عدة اتجاهات.

أ-المكان من منظور اجتماعي:

اهتم علماء الاجتماع بمصطلح "المكان" وذلك لما يحمله من أهمية كبرى، فهو «يعتبر الوجه الأول للكون، وهو محور الحياة الذي تحيا فيه الكائنات، وتتموضع فيه الأشياء، وقد يلعب المكان دورا مهما في تحديد نسق الحياة للكائنات الحية التي تعيش فيه، ومنح أشكال محددة للأشياء المتموضعة فيه»[3]، ونعني بذلك أن المكان أساس الحياة، فهو الموضع الذي تعيش فيه الكائنات وتمارس فيها نشاطاتها وأحوالها ويمثل لها الاستقرار والثبات.

والمكان اجتماعيا عند أسماء شاهين هو الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه[4]، وهو «الذي يمثل أثر العادات والعرف والتقاليد، ونوع العمل السائد في المجتمع، وأثر

[1]- صبحي حموي، أنطوان نعمة، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001، ص: 1351.

[2]- شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة، العدد 115، الجزائر، 1997، ص: 141.

[3]- أحمد مرشاد، جدلية الزمان والمكان في روايات عبد الرحمان منيف، فؤاد المرعي، مجلة بحوث، العدد22، جامعة حلب، 1992، ص: 56.

[4]- ينظر: أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001، ص: 12.

الحضارة عامة على الفن»[1]، وعليه يمكن القول أن المكان هو الذي تمارس فيه كل العادات والتقاليد والطقوس التي سادت عليها المجتمعات.

ولقد وضع "ابن خلدون" «خصائص للمكان يجب مراعاتها عند إقامة أية مدينة من حيث صحة إقامتها وملاءمتها للمعيشة الإنسانية، كما عرّفا عالما الاجتماع "**ستوكولز" و"شوماخر"** (المكان) بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك، كما اعتبر علماء الاجتماع أن "المكان" امتدادا للجسم، ومعبرا عن قاطنيه فوصف المرء للأماكن وانتقاله عبرها يسمح له بالتعبير عن القيم الفردية الجماعية لقاطني تلك الأماكن، ووصف حالتهم الاجتماعية»[2]. إن وصف المكان يشير إلى طبيعة الشخصيات في الرواية، حيث أن البيئات التي يعيش فيها الإنسان تعطي انطباعاً عن شخصيته، فمسكن الإنسان مثلاً هو امتداد لذات الإنسان وطبيعته، فإذا تم وصف المكان كان في ذلك وصفاً لساكنه.

ب– المكان من منظور ديني:

إن المتتبع لكلام الله عز وجل، يجده فيه الكثير من السور بأسماء الأمكنة لأن مجمل أحداثه ارتبطت بالأمكنة، فمنها ما قد سميت باسم مكان مثل سورة الكهف، الطور، والحجرات...الخ.

وقد «وردت لفظة المكان في القران الكريم في مئة وثمانية وعشرون موضعا، يحمل كل منها دلالات ومعنى متنوعة ومنها كالآتي:

– منها ما يدور حول معنى الموضع أو المحل كقوله تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا** ﴾ (مريم / 16) أي موضعا أو محلا شرقيا عن أهلها أو عن بيت المقدس.

[1]– ينظر: مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار– الدقل – المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص: 30.

[2]– غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 2، المجلد 11، ص: 246.

- ومنها ما جاء في معنى بدل مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف/ 78) ومكانه هنا تعني بدلا منه.

- بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى المنزلة، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (مريم/75) وشر مكانا أي المنزلة.

وبذلك فإن (الموضع أو المحل، وبدلا من، والمنزلة) هي من أبرز المعاني المذكورة في القرآن الكريم »[1].

كما ذكرت أماكن كثيرة في القرآن الكريم، مقترنة بأسماء البلاد التي تقع فيها تلك الأماكن، وقد أخذت باللفظ الصريح للمكان أو البلد نذكر منها:

قال الله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة / 21)

كما يقول: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء/1).

ويقول في قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (يوسف/99).

كما ذكر المكان في كثير من السور ذكرا عاما كالبيت والقرية والمدينة.

[1]- غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، ص: 243.

ويقول أيضا: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة/125).

كما يقول: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة/58).

يمكن القول أن المكان في القرآن الكريم ربما يتفق مع المكان في النصوص الأدبية بتقنياته وفنيته وجماليته، لكن يمكن أن نعد المكان في القرآن الكريم أقدر على التنافس في الدراسات الأدبية وذلك لأسباب:

أولا: أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل.

ثانيا: المشاركة في تقنيات العمل السردي بصورة جمالية محكمة وفنية فائقة.

ثالثا: اعتبار الإعجاز البياني أبرز صفات جمالية المكان.

وعليه فإن ذكر المكان في القرآن الكريم بصفة عامة جاء إلا لغرض معنوي أو ديني من أجل حكمة القصة القرآنية وغرضها الأساسي، أي من أجل بيان العقائد والشرائع وسوق العبر والتذكرة، وكذلك من أجل أن يحفز الإنسان وتدفعه نحو الالتفات إليه وتدبره.

ج- المكان من منظور فلسفي:

شغل مصطلح المكان اهتمام الفلاسفة في أبحاثهم «فأفردوا له مكانة خاصة في معظم المؤلفات، وان اختلف أصحابها في تحديد مفهوم محدد له، وهذا المفهوم شغل الفلاسفة منذ أفلاطون إلى وقتنا الحاضر ومازالت الدراسات الفلسفية حوله كثيرة وغير منقطعة»[1].

[1]- د: خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد 112، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، قسم اللغة العربية، ص: 116.

ومن الفلاسفة الذين تطرقوا إلى مفهوم المكان "أفلاطون" فهو يرى أنه «الحاوي للموجدات المتكاثرة ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر الحقيقي»[1]، يقوم تصور أفلاطون من خلال هذا التعريف، على أن المكان غير حقيقي وهو محل التغيير في عالم الظواهر الحسية.

وكذلك نجد "**أرسطو طاليس**" «قد انشغل بالمكان في كتابه "**فن الشعر**" بحيث أولى هذا العنصر مكانة رفيعة، وبذلك منح " المنظر" أي المكان أهمية كبيرة، باعتباره أحد أهم عناصر المأساة، وفي المعاجم الفلسفية تعددت أوجه النظر إلى المكان بحيث يرد المكان في موسوعة "لالاند" الفلسفية بأنه: «مكان، مجال، فضاء، مدى: وسط مثالي متميز بظاهرية أجزائه تتمركز فيه مداركنا فنجد من هذا التعريف قد ساوى بين مصطلحات عديدة وهي المكان، والمجال، والفضاء والمدى، كما أن معنى المكان هنا قد ارتبط بصفة الإحاطة، فالمكان يحيط بنا، وبكل مداركنا»[2].

أما الفلسفة العربية فقد تحدثت عن المكان وأعطت أهمية بالغة، ومن بين الذين عرفوا المكان، نجد ابن سينا حيث يقول: «بأنه السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح لظاهر من الجسم المحوي، ويقال مكان للسطح الأسفل الذي يستقر عليه جسم ثقيل، ويقول الجرجاني: المكان عند الحكماء هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده»[3]، ونعني بذلك أن المكان مقسم من جهتين، أما الجهة الأولى يتمثل فيها المكان في السطح الواحد ويقوم في الهواء ويحيط به، وأما الجهة الثانية يتمثل في أكثر من سطح، يعني أنه سطح مركب من البنية التحتية أي الأرض وسطح مركب من الهواء الذي فوقه، وبناء على ما تقدم في هذين التعريفين نجد أن الجذع المشترك بينهما هو السطح والجسم، فتعريفان مرتبطان بموجودات وأشياء محسوسة أي أنها متسمة بالإحساس الإدراك.

[1]- محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1984، ص: 124.

[2]- حمزة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لظت: عز الدين جلاوجي، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2011-2012، قسم اللغة العربية وآدابها، ص: 20.

[3]- د: خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، ص: 117.

د– المكان من منظور فني (روائي):

يعتبر المكان الروائي أحد العناصر الفنية الرئيسية المكونة للرواية، فهو الموضع الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات، وقد«يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»[1].

والمكان في الرواية غير المكان في الواقع، فهو مكان «متخيل مشكل من ألفاظ لا من موجودات، أو صور فهو إذن مكان غير حقيقي ينشأ عن طريق الكلمات»[2]، وله مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة وتتمثل أهمية المكان في الرواية باعتباره عنصراً فاعلاً في طبيعة الشخصيات وعلاقاتها. كما أن «هذا لا يعني انتفاء علاقته بالواقع المعيش، إذ لابد من وجود تماثل بدرجة أو بأخرى، مع العالم الحقيقي خارج النص، وذلك لاستحالة بناء الأحداث والشخصيات في مكان لا ملامح له فضلاً عن كون المكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة، ومن خلال هذا يعمد الروائي في بعض الأحيان إلى إضفاء الواقعية على المكان في رواياته، وإلباس شخصياته ثوب أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه، كي يعبر عن ما لا يستطيع التعبير عنه بصورة مباشرة فيتحول إلى رمز»[3].

إن مفهوم المكان من المنظور الفني ظل على الدوام محل اهتمام الفنانين والأدباء بصورة خاصة «إذ يستأثر باللذة الجمالية ويتخطى عتبة الحدود والحقيقة إلى الجمالية والشعرية، فقد يأخذ هنا ملمحا ثقافيا أو يكون مصدر الهام وبذلك يفقد المكان – بالضرورة – أبعاده الهندسية والجغرافية، إذ يطلق الأديب العنان لخياله، فقد يراه بعيدا يستحضره في شغف، وقد يراه قريبا يحاول النأي عنه أو تجاوزه، فالذي يميزه هو ذلك: الانزياح والتحول والنفي عن الأمكنة الواقع حيث يصبح للمكان

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص: 33.

[2]– صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 1، جامعة الموصل، المجلد 11 ص: 200.

[3]– صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى، ص: 200.

خلقة أخرى في النص فالمكان الواقعي، ليس بالضرورة مكانا فنيا، ما لم تدرك خباياه وأسراره ومعايشة كل جنابته، فيبقى محطة عبور لا يرقى للشعرية»[1].

ونعني هنا أن الروائي ينطلق في بناء روايته من مكان واقعي، إلا أن الكاتب ينسج لنا مكانا فنيا يختلف عن المفهوم الهندسي أو يفقده، إذ مهما برع الروائي في وصف المكان، فإنه لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي الذي يفتقد للشعرية ولا يمتلك أي قيمة فنية، بل ينسج لنا مكانا فنيا صنعه خياله في لوحة فنية مصنوعة من الكلمات.

وفي ذلك ترى اعتدال عثمان أن المكان «لا يقتصر على كونه أبعادا هندسية وحجوما، ولكنه فضلا عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني، أو الجهد الذهني المجرد»[2]، وتعني هنا الخروج بالمكان من كونه مساحة هندسية جغرافية، إلى حيز تجريدي.

كما يعرف المكان في الرواية على أنه «المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي تقيمه الكلمات انصياعاً لأغراض التخييل الروائي وحاجاته»[3]، وبذلك فإن مكان الرواية قائم في خيال القارئ الذي يتم وصفه من خلال هذه الكلمات.

وقد ارتبط المكان بالنص السردي ارتباط النتيجة بالسبب، لأنه جزء من مكوناته السردية ليس من الناحية الفنية فقط، بل لأنه يمثل موضع الأحداث ومدار تحرك الشخصيات، وقد يتحول في بعض الروايات إلى فضاء يحوي كل العناصر الروائية وما يجمع بينها من علاقات، مانحا إياها المناخ

[1]- بلقاسم بلحارث، جماليات المكان في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للحاج ناصر الدين الديني والحاج سليمان بن إبراهيم، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد اكلي محند والجاج، قسم اللغة العربية، 2014- 2013، ص: 10.

[2]- اعتدال عثمان، إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، لبنان،(د-ط)، 1988، ص: 5.

[3].- الضبع مصطفى، استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د -ط)، 1998 ، ص: 251.

الذي تفعل فيه وتعبر من خلاله عن وجهة نظرها الخاصة، لأنه يساعد على تطوير بناء الشخصية ويحمل في الوقت ذاته رؤية البطل، فلا يعتبر المكان مجرد ديكور بالنسبة للوحة الفنية الأدبية.[1]

إذن فالروائي يجب عليه أن يتعامل مع المكان تعاملاً إبداعيا ذا جمالية، فيتخذ من المكان حيزاً عادياً، يوظف من خلاله التقنيات السردية من شخصية وحدث وزمان، فيصبح خشبة مسرح واسعة تعرض من خلالها الشخصيات رؤيتها واتجاهاتها.

– لقد شغل مصطلح "**المكان**" نقاد الغرب، ولعل أول من لفت أنظار الدارسين لهذا العنصر الروائي "**غاستون باشلار**" في كتابه " **جماليات المكان** " حيث تركزت دراسته حول المكان ذي البعد النفسي وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة، إلا أننا لم نجد تعريفا كاملا لمصطلح "المكان الروائي" في كتابه، حيث صب اهتمامه على البيت وجميع أجزائه، والدلالات التي ترتبط به، يقول غاستون البيت «هو ركننا الأول في العالم انه، كما قيل مرارا، كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى... كما أنه عبارة عن جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول »[2]، أي أن البيوت في نظره تشكل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي يعيشها الإنسان، وكذلك مسألة "التقاطبات" التي تنحصر في البعد الفيزيائي كالقبو والعلية، وقد دفعت هذه الدراسة العديد من النقاد إلى فهم هذا المصطلح والتعمق فيه أكثر، لتتوالى الدراسات بعدها.

أما الباحث الروسي "**يوري لوتمان**" فقد ورد في كتاب جماليات المكان لجماعة من الباحثين عن دراسته للمكان، فقد تعمق في دراسة **باشلار** حيث يرى أن التقاطبات «تعارضا شائعا بين المكان المتسع الذي يرتبط بالفقر، والفراغ، والبرودة، وبين المكان الضيق الذي يرتبط بالدفء،

[1]– ينظر: أحمد زياد محبك، متعة الرواية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 28–29.

[2]– غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان،ط2، 1984، ص: 36–38.

والألفة، والحماية»[1]، فهناك أماكن طاردة نرفضها على الرغم من اتساعها، وهناك أماكن جاذبة وعلى الرغم من ضيقها فإنها تساعدنا على الاستقرار فهي تمثل الملجأ والحماية للإنسان.

وقد ذكر حسن بحراوي في كتابه **بنية الشكل الروائي** قسمين غربيين وهما الباحثين الفرنسيين **"جورج بولي" و"جلبير دوران"** اللذين حاولا تقديم تنظيرات لعنصر المكان، وإن جاء تحليلهما للمكان الروائي قاصرا على أن يدرك الأبعاد المختلفة لبنية المكان في تشكلاتها، ومظاهرها[2].

أما في النقد العربي فقد أعطيت تسميات أخرى لهذا المصطلح وهي **"الفضاء" و"الحيز"** وقد اختلف الباحثون في صياغة هذه المصطلحات، ومن هؤلاء الباحثين: **حسن بحراوي وحسن نجمي عبد المالك مرتاض وشاكر النابلسي** وغيرهم.

على الرغم من أن مفهوم المكان خاص بذاته دون غيره إلا أن بعض الدارسين يعتبر الفضاء مرادفا للمكان، فكان من الضروري أن نضبط هذا المصطلح كمفهوم.

* **الفضاء:** يعرف ابن منظور في لسان العرب الفضاء:«المكان الواسع من الأرض، والفضاء ما استوى من الأرض واتسع، قال: والصحراء فضاء»[3]، ومعنى هذا التعريف أن الفضاء يعني ما اتسع من الأرض، ويرتبط الإنسان ارتباط وثيقا بالفضاء لأنه يمارس فيه جميع تفاعلاته الحياتية ويضمن له البقاء والاستمرارية.

أما الفضاء الأدبي المرتبط بالرواية فهو يعتبر بنية من بنيات الحكي، ومكون من مكوناتها الأساسية يعتبر الفضاء في الرواية، وهو بمثابة الديكور في المسرح، لكونه يبوئ الأحداث في الأمكنة

[1]- أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط2، 1988، ص: 63.

[2]- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص:26.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ص: 122.

وما تعيشه من أزمنة، فهو يستحق بجدارة أن يكون "عنصرا مهيمنا" في العمل الروائي بمعنى أن كثيرا من الروايات العالمية والعربية تستحق أن يطلق عليها بعض النقاد رواية الفضاء»[1].

أما الفروق بين هذه دلالات هذه المصطلحات فهي:

«إن فضاء الرواية هو ما يجعل الأحداث تقع في العديد من الأمكنة التي تنتظم داخل الفضاء الروائي، لذا يجب التمييز بين المكان والفضاء»[2].

- دلالة مصطلح "**المكان**" على المكان الواحد المنفرد في العمل الروائي.
- دلالة مصطلح "**الفضاء**" على مجموع الأمكنة في العمل الروائي، لأن الفضاء يعتبر أعم، وأوسع وأشمل من المكان.

إلا أن **حسن بحرواي وشاكر النابلسي** فقد فضلا تسمية مصطلح المكان في دراستيْهما، فقد جاءت دراسة **حسن بحراوي** في كتابه "**بنية الشكل الروائي**" بذكر مصطلح المكان حيث ذكر ثنائيات ضدية تتمثل في أماكن الإقامة الاختيارية، وأماكن إجبارية، وأماكن الانتقال العمومية، وأماكن وأخرى خصوصية[3]، وكذلك "**شاكر النابلسي**" فقد ذكر مصطلح المكان في كتابه "**جماليات المكان في الرواية العربية**".

وأما **حسن نجمي** ففضل تسمية مصطلح "**الفضاء**" ولعل كتابه المعنون "شعرية الفضاء السردي" يوضح لنا أنه آثر هذا المصطلح للتعبير عن هذا العنصر الروائي حيث يقول:«لعله اتضح لنا الآن نسبيا بالأقل، معنى الفضاء، إنه ليس معادلا للمكان»[4].

[1]- ينظر: محمد عز الدين التازي، الرواية والفضاء الروائي، مداخلة مقدمة لندوة الرواية العربية، رابطة أدباء الجنوب، أغادير من 27 إلى 30 ماي 2011، ص: 1-3.

[2]- محمد عز الدين التازي، الرواية والفضاء الروائي، ص: 3.

[3]- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 43 - 91.

[4]- حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص: 51.

وعليه يمكن القول في هذا الاختلاف المتباين بين النقاد حول هذا العنصر، إن «الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحان بينهما صلة وثيقة، وإن كان مفهومهما مختلفا»[1].

وأما **عبد الملك مرتاض** فضل تسمية مصطلح "**الحيز**" فهو يرى أن الفضاء «قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء، والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن، والثقل، والحجم، والشكل »[2].

من خلال التعريف الاصطلاحي، وجدنا أن مفهومه يحمل أكثر من دلالة، وعليه يمكن القول إن تعدد وجهات النظر والتعريفات المختلفة في هذا المفهوم يدل على أهميته الكبيرة، فقد تناولته أكثر من دراسة ومع ذلك فإن تناولنا للمكان في رواية "**المقبرة البيضاء**" لا يقتصر على مفهومه بل يتعداه إلى ما يحيل من دلالات جمالية ومعانٍ في هذا السرد الروائي.

ثانيا: أهمية المكان الروائي

يلعب المكان في العمل الروائي دوراً هاماً، فهو ليس مجرد ترفٍ يكثّر به الكاتب سواد الصفحات بل هو ركن أساسي ورئيس من أركان العمل الروائي الحديث وقد «اختلفت طريقة توظيف المكان في الرواية الحديثة في الغرب مما أدى بالتالي: إلى اختلاف في أهميته بوصفه مكونا روائيا بنيويا ودلاليا، وينطبق هذا على الرواية العربية، ففي حين كانت الرواية التقليدية تحصر حاجتها إلى المكان في كونه مؤطرا للأحداث الروائية ومسرحا لها، صار المكان في الرواية الحديثة مشاركا أساسا في خلق المعنى وباعثا له، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»[3]، إذا فالمكان في الرواية الحديثة يكتسب أهمية كبيرة، فهو «يعد أحد الركائز الأساسية لها لا لأنه المكان الذي تجري

[1]- سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية، مقاربات نقدية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د-ط)، 2003، ص: 74.

[2]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د-ط)، ديسمبر 1998 ص: 121.

[3]- صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيري الذهبي " الزمان والمكان"، مذكرة ماجستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2009-2010 ص: 26.

فيه الأحداث وتدور فيه الحوادث وتتحرك من خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة في فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها ويكون هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية، والعامل لرؤية البطل والممثل لمنظور المؤلف»[1].

إن المكان والفضاء لهما نفس المعنى ولكن الدارسين اعتبروا الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، وبذلك يمكن القول أن الفضاء يعتبر نقطة ارتكاز مهمة لتعبير عن خلفيات النص الأدبي من علاقات بين العناصر مما يساعد ذلك في تطور الرواية.

إن أهمية المكان في الرواية تتعدى كونه أحد عناصرها الفنية، أو أنه المسرح الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشخصيات، لأنه «يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكي»[2]، ليتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، فهو بؤرة مركزية مشعة تفيض بالدلالات التي تغذي القصة وتساعد في تطوير بنائها.

والمكان «ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معانٍ عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»[3]، فلا يمكن أن تقوم الرواية دون مسرح فهو الذي يحتوي كل العناصر السردية الأخرى المتعلقة بالرواية.

إذن، «يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية بذلك فهو بذلك فهو يؤثر في بعضها، ويقوي من نفوذها كما يعبر عن

[1]– أحمد زياد محبك، دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2012، ص: 147.

[2]– أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص: 127.

[3]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص: 33.

مقاصد المؤلف»[1]. وبذلك يتجاوز المكان دوره الظاهر بوصفه مكانا لوقوع الأحداث وأرضية تتحرك أمامها الشخصيات إلى فضاء رحب يشع بالجمالية في بناء الرواية.

ثالثا: أنـــــواع المكان

قسم الباحثون والنقاد المكان في الرواية إلى عدة تقسيمات حسب رؤاهم ووجهة نظرهم تجاه هذا العنصر السردي ونذكر من هذه التقسيمات:

- قسمت الأماكن في الرواية إلى قسمين: أماكن عامة، وأماكن خاصة.

فالعام يعني المكان «الذي فيه الأجسام كلها، ويشكل مجموع الأمكنة الخاصة»[2]، وهي الأمكنة التي يرتادها الناس للعبادة كالمسجد، والمقاهي، والمحلات، والمستشفيات، والبلديات...الخ ومن كل هذه الأماكن تتشكل المدن والقرى، وتكشف لنا الأماكن العامة دلالة أمزجة وأذواق الشعوب ومستواها الثقافي والحضاري.

أما الخاص فهو «أول ما فيه الشيء وهو الذي يحويك وحدك، ولا يحوي أكثر من جسم في زمان واحد»[3]، ويكشف لنا المكان الخاص أمزجة وأذواق الأفراد، كما يعني الاستقرار والوجود والثبات في المكان، ومن هذه الأمكنة أنواع البيوت، الغرفة...الخ

وقد صنف "**غالب هلسا**" المكان إلى أربعة أنواع[4]:

المكان المجازي، المكان الهندسي، المكان كتجربة معيشة داخل العمل الفني، المكان المعادي.

---

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 32

[2]- ينظر: د: خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، ص: 116.

[3]- د: خالدة حسن خضر، المرجع السابق، ص: 116.

[4]- ينظر: محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د-ط)، 2005، ص: 67- 68.

أما **المجازي** وهو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث ومكملا لها، إنه مكان سلبي، مستسلم، يخضع لأفعال الشخصيات ليعطيها زخما في الوجود الروائي.

وأما **الهندسي** فهو المكان الذي يعرض بدقة وحياد من خلال أبعاده الخارجية، إذ أنه يرتبط بالكاتب نفسه، فيصف أجزاءه بدقة لكي يؤثر من خلاله على المتلقي.

وأما **المكان كتجربة معيشة داخل العمل الفني** فهو مرتبط بالحدث، لأنه ذو أهمية خاصة في إبراز ملامح العمل الروائي بشكل عام وهو القادر على إثارة ذكرى المكان عند المتلقي.

وأخيرا **المكان المعادي** كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة ويدخل تحت السلطة الأبوية، بخلاف الأماكن الثلاثة السابقة فيراها أماكن أمومية.

وينقسم المكان عند **مصطفى الضبع** في كتابة استراتيجية المكان إلى ثلاثة أنواع:

أ– الفضاء الجغرافي: وهو المكان الذي ينتجه الحكي في محدودية جغرافية قابلة للإدراك والتخيل حيث يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون فيه[1]، ويقصد به الحيز المكاني في الرواية والحكي عامة، حيث تتاح للشخصيات الحركة في كل الأمكنة للعب أدوارها في الحكاية.

ب– الفضاء الدلالي: وهو الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام [2]، ونعني به الفضاء الذي يرتبط بقضية الصورة والمجاز وما لهما من أبعاد دلالية، فهو الذي يبحث عنه الناقد في ثنايا العمل الروائي، حيث إذا تم توظيف بعض الأمكنة دون غيرها تتشكل في الرواية دلالات معينة، وإذا كان الشعر يستخدم هذا اللون في بناء صوره الشعرية بوساطة آليات مختلفة، فإننا نحسب أن الرواية تستعين بأساليب فنية في بناء عالمها.

[1]– ينظر: مصطفى الضبع، استراتيجية المكان ، ص: 76.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 76.

جـ- الفضاء النصي: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح[1]، ويعني بذلك أن الفضاء النصي هو الصورة الشكلية للنص السردي والموضع الملموس والذي يتمثل في بنية الكتاب.

المبحث الثاني: علاقة المكان بالعناصر السردية

أولا: مفهوم الشخصية:

أ- لغة: يعرف ابن منظور الشخصية في معجمه لسان العرب من خلال ما ورد في مادة (ش،خ،ص) ويقول في ذلك :«الشخص جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص هو سواد الإنسان وغيره وتراه من بعيد، وشخص كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص »[2].

إن هذه المعاني تُشير إلى ذات الإنسان، وإلى شيء مرتبط بالإنسان، كذلك ربطت معاني الشخصَ بالرؤية البصرية، ومن هنا فإن دلالة الشخص لا تتأكد حتى يظهر للناس، أما إذا لم يظهر فإنه ليس شخصًا.

وفي "المعجم الوسيط" ذكرت الشخصية في مادة (ش،خ،ص) حيث يقول:«شخص الشيء عينه وميزه مما سواه والشخصية هي الصفات التي يتميز بها الشخص من غيره، ويقال فلان لا شخصية له أي ليس له ما يميزه من صفات خاصة »[3]، وهنا تم ربط تعريف الشخصية بعلم النفس فهو يعني أن مظهر الإنسان هو جزء من تصرفاته وأفعاله وكذلك أقواله، فحديث الشخص يعبر عن شخصيته، وطريقة سير الشخص تحدد شخصيته، وكذا الحركات والإيماءات...الخ.

[1]- ينظر: مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، ص: 76.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش،خ،ص)، ص: 311 – 312.

[3]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (شخص)، القاهرة، مصر، 1872، ص: 475.

ب– اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت المفاهيم وكثرت، فقد نالت الشخصية اهتمام كثير من العلوم كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الهندسة... وكثير من العلوم التطبيقية، لكننا لسنا بصدد الحديث عن الشخصية في تلك العلوم لأن ما يهمنا في هذه الدراسة هو الشخصية في الفنون الأدبية وتحديداً في الرواية.

الشخصية «كلمة لاتينية معناها القناع أو الوجه المستعار الذي يصنعه الممثل على وجهه من أجل التنكر وعدم معرفته من قبل الآخرين ولكي يمثل دوره المطلوب في المسرحية فيما بعد، ولقد اهتم الكلاسيكيون بالشخصية اهتماماً كبيراً، وكانوا حريصين على الدقة في تصوير شخصياتهم وتميزوا بخلق نماذج بشرية خالدة.. ولا أدل على ذلك من أن نرى معظم مسرحياتهم تحمل كعنوان لها أسماء أبطالها.. حتى اكتسبت تلك الشخصيات طابع النموذج البشري، وأصبح لها وجود مستقل وكأنها شخصيات تاريخية لا مجرد شخصيات روائية محبوسة داخل الأعمال الأدبية التي صورت فيها »[1]. ويعني ذلك أن الشخصية ليست مجرد عنصر ثانوي داخل العمل الروائي لديهم، وإنما تحمل أهمية ودور بارز، فقد اهتموا بالمظاهر الخارجية للشخصية، من اسم وملامح، وصفات عامة لتميزها عن غيرها من الشخصيات داخل العالم الخيالي.

وقد وردت عدة تعريفات عند النقاد نورد منها:

عند **ميخائيل باختين**: ركز باختين على الدور الأساسي للشخصيات، فيعتبر أن وجودها أساس وحركتها أيضا مهمة داخل السرد الروائي لأن «فعل الشخصية وسلوكها في الرواية لازمان،

[1]– على عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات قسم اللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد 102، ص: 46 – 47.

سواء لكشف وضعها الإيديولوجي وكلامها أو لاختبارهما»[1]. كما أنه يعتبر أن كلام الشخصيات أساسي حيث «يمكن لخطاب شخصية روائية أن يصبح أحد عوامل تصنيف اللغة »[2].

ويقصد بذلك أن لغة الشخصية الروائية لها وجهات نظر ذاتية، وتعيش عالمها الأيديولوجي الداخلي الخاص بها الذي يعكس فهمها متجسدة في أفعالها ومنطوقها اللفظي، إلا أنها تعكس لنا بنفس الوقت دلالة اجتماعية طبقية، ومن ثم أن لغة الخطاب الروائي لها قيمة أيديولوجية داخل بنيتها الجمالية، كما تعكس لنا خطابا اجتماعيا عبر حبكة روائية من قبل الكاتب.

أما عند **فيليب هامون**: فقد «حاول أن يستفيد من دراسات سابقيه، واعتبر مفهوم الشخصية مرتبطا أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص »[3]، حيث قال أن «مفهوم الشخصية ليس مفهوما أدبيا محضا وإنما هو مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم داخل النص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتكم الناقد إلى مقاييس الثقافية والجمالية »[4]، فالنص الأدبي عند **فليب هامون** أولا هو مدوّنة كلامية بعد ذلك تفسح المجال للتشكيل النحوي، الأمر الذي يجعل الكتابة الأدبية أكثر إيحاء ورمزية بدلالاتها، وتراكيبها، ويمكن القول أن للشخصية وظيفتان: الأولى نحوية مستقاة من المدونة أي النص وثانية أدبية مستقاة من المنظومة الثقافية والجمالية التي ينتمي إليها النص، فالشخصية عند "فيليب هامون" تمتد لتشمل جميع بنيات النص.

أما **رولان بارت** فالشخصية عنده «قد احتلت مركزا مرموقا في الدراسات الحديثة لأنه يرى أنه ليس من قصة واحدة في العالم من غير شخصيات »[5].

[1] – ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1،1987، ص: 102-103.

[2] – المرجع نفسه، ص: 102.

[3] – زوزو نصيرة، سمياء الشخصية في رواية " حارسة الظلام ' لواسيني الأعرج، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9، ص: 5.

[4] – د:جميل حمداوي، مستجدات النقد الروائي، ط1، 2011، ص: 222.

[5] – ينظر: ليندة بن عباس، بنية الشخصية في رواية " التبر" لإبراهيم الكوني، مذكرة ماستر ، جامعة محمد بوضياف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2014 – 2015، ص: 06.

ويعرف **عبد الملك مرتاض** الشخصية بقوله: «هذا العالم المعقد الشديد التركيب بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود... فشخصيات العمل الروائي عالم متحرك تكون حياة متكاملة، وكأنها تسير في نظام جمالي فريد، ويناضل الكاتب لوضع كل شخصية في مكانها الصحيح»[1].

وعليه نقول أن: «الشخصية لها أهمية كبيرة، كونها تقع في صميم الوجود الروائي إذ لا رواية من دون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي الرواية بعدها الحكائي، فهي العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر الشكلية كافة بما فيها الزمن والمكان الضروريان لنمو الخطاب الروائي إذ ترتبط بالحدث ارتباطاً وثيقاً إذ يكون ظلالها ويتبلور ويتشكل بتشكلها' ويمثل الحوار حديث الشخصية وهو يوحي بانتمائها الثقافي والاجتماعي وظرفها النفسي»[2]، فالشخصية هي المحرك الأساس للعمل الروائي، بحيث أنها مرتبطة بالزمن والمكان ارتباط وثيقا فتمثل حركتهما داخل الرواية، وهي التي تقوم بإبراز وتطور الحدث عن طريق الحوار الذي يدور فيما بينها.

ج- أنواع الشخصيات:

تختلف الشخصيات الروائية بعضها عن بعض في الصفات، والأدوار، والأهمية، لذلك قام نقاد الرواية بتقسيم الشخصية إلى نوعين: الرئيسية والثانوية.

1- الشخصية الرئيسية: «وهم الأبطال ويظهرون في أكثر مواقع الرواية »[3].

يقول **أنريكي أندرسون:** «توصف الشخصيات بأنها رئيسية عندما تؤدي وظائف مهمة في تطوير الحدث، إن الشخصيات الرئيسية هي شخصيات مسيطرة وتظهر بصورة الأفراد المهيمن رغم أن سلوكها قد لا يتسم بالسلوك البطولي وأياً كانت الأحداث والتصرفات الصادرة عنها فإن

[1]- ليندة بن عباس، بنية الشخصية في رواية " التبر" لإبراهيم الكوني، ص: 06.

[2]- ينظر: نبهان حسون السعدون، الشخصية المحورية في رواية "عمارة يعقوبيان لعلاء الاسواني، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 1، جامعة الموصل، المجلد 13، 2014، ص: 174.

[3]- خليل برويني، بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، فصيلة اضاءات نقدية، العدد 14، السنة 4، 2014، ص: 52.

الباعث ينير معالم الشخصية»[1]، ونفهم من ذلك أن الشخصية الرئيسية هي التي تصنع الحدث وأنها الأهم في العمل الروائي.

إن الشخصية الروائية هي التي تقوم بمهمة رئيسة وبالدور الأكبر في تطور الحدث الروائي، فهي التي «تقودنا إلى طبيعة البناء الدرامي، فعليها نعتمد، حين نبني توقعاتنا ورغباتنا، التي من شأنها أن تحول، أو تدعم تقديراتنا وتقييمنا... ومن ثم تنهض قيمة معظم الروايات، وما تحدثه من التأثير الفعال على مدى مقدرة الشخصيات الرئيسة في تقديم الموقف، والقضايا الإنسانية التي يطرحها العمل تقديما حيويا »[2]، إن الكاتب يكون مشغولا بقضية إنسانية أو اجتماعية عند كتابته لرواية ما، فكان لزاما عليه أثناء بناءه للرواية أن يضع اللبنات الأساسية للشخصية القادرة على تمثيل تلك القضايا، ويعتبر تأثيرها في الرواية بمثابة الطاقة الدافعة للعملية الابداعية لدى الكاتب التي تنهض بقيمة الرواية والتي تساعد على بناء توقعاتنا وتدعم تقييمنا للعمل الأدبي.

2- الشخصية الثانوية:

لا تخلو أية رواية أو قصة من هذه الشخصيات فهي تأتي مساعدة للشخصيات الرئيسية، وقد عرفت على أن أبطالها «هم الذين يظهرون في بعض المشاهد ثم يغيبون في المشاهد الأخرى»[3]. كما «تقوم الشخصيات الثانوية بدور المساعد، ويختلف هذا الدور من شخصية إلى أخرى، ويستخدم القصاصون هذه الشخصيات لتقوم بإدارة بعض الأحداث الجانبية لتسيير الحدث الرئيسي أو لإظهار شخصية البطل وتوضيح بعض معالمها أو سماتها»[4]، أي أنها تقوم بخلق صراع وإثارة الحيوية فدور هذه الشخصيات مساند ومساعد للشخصية الرئيسية، وهي تنسج على نحو سطحي حيث لا تحظى

[1]- أنريكي أندرسون، القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة: علي إبراهيم علي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2000، (د - ط)، ص: 239.

[2] - روجرب هينكل، قراءة الرواية، تر: صلاح رزق، دار غريب، القاهرة، ط1، 2005، ص: 186.

[3]- خليل بروييني، بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، ص: 52.

[4]- عبد اللطيف السيد الحديدي، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي، القاهرة، مصر، ط1، 1996،ص: 158.

بالاهتمام الكبير في شكل بنائها ولكنها تبقى عنصر حيوية الرواية فهي شخصيات بسيطة للغاية مهما تعمق القارئ في دراستها وتفسيرها، فإنه لن يضل سبيله معها وسيجدها بسيطة وواضحة[1].

د- علاقة المكان بالشخصية:

إن المكان مرتبط بالشخصيات وفق علاقة متينة جدا، فلا قيمة له إذا لم يحفل بشخصياته التي تمنحه المعنى، وتسهم في إثرائه بالدلالات من خلال العلاقات المختلفة التي قد تدخل فيها هذه الشخصيات مع المكان كعلاقات التنافر أو الحياد أو الانتماء[2]، لأن المكان يكشف لنا الحالة النفسية أو الاجتماعية التي تعيشها الشخصيات، «ومن المعروف علاقة التأثير والتأثر المتبادلة بين الشخصية والمكان، يجعل كلاً منهما خاضعاً للآخر في تحديد الكثير من سماته، كما أن المكان يدخل في علاقة مباشرة مع الحدث، فهو عنصر من العناصر المكونة للحدث، وان مجرد ذكر المكان يجعلنا ننتظر قيام حدث ما»[3].

وخلاصة القول أن المكان يتفاعل مع بقية عناصر العمل الروائي، فهو مقترن ومرتبط دائما ببعضها البعض فعلاقته مع الشخصيات تساعد على فهم الصورة والدلالة النصية بحدثها المكان داخل السرد، «إذا عندما تتفاعل الشخصية مع المكان بكل أبعادها يدخل المكان عنصراً فاعلاً في تطور الشخصية وبنائها وطبيعتها التي تكتسب منه الدلالة وتعطيه معناه، وبالتالي يتجاوز المكان وظيفته الأولية ومعناه الهندسي المحض إلى فضاء المكان والعلاقات لمتشابكة والأحداث التي تجري ضمنه متأثرة به ومؤثراً فيها. وبهذا يمكن أن نعد هذه العلاقة الجدلية والمتنامية والفاعلة والمنفعلة بين المكان والشخصية تجعل من المكان العمود الفقري الذي يربط الرواية ببعضها البعض»[4].

[1]- ينظر: محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 83.

[2]- ينظر: خالد حسين حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة، (الخطاب الروائي لادوارد الخراط نموذجا)، كتاب الرياض، منشورات مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد:83، 2000، ص: 110- 111.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص: 30.

[4] - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار- الدقل - المرفأ البعيد) ، ص: 189- 190.

ثانيا: مفهوم الزمن

أ– لغة: يرى ابن منظور أن «الزمن والزمان اسمان لقليل من الوقت وكثيره، الزمن يقع على الفصل من الفصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه وأزمن الشيء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمنا »[1].

ب– اصطلاحا: يعد الزمن الروائي أما بالنسبة للزمن الروائي من أهم العناصر السردية في العمل، حيث هو العمود الأساسي ويستحيل قيام رواية أو قصة بدونه فهو المكمل للعمل السردي، إن لم نقل بؤرته: بحيث «الأحداث تسير في الزمن، الشخصيات تتحرك في زمن، الفعل يقع في زمن، الحرف يكتب ويقرأ في زمن، ولا نص دون زمن »[2]، ولأن «الزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا خلال مفعولها على العناصر الأخرى»[3]، بحيث يدخل الزمن كعنصر فاعل في البنية الروائية ويتخللها، ويتحرك بين العناصر السردية الأخرى.

إن الرواية من أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالزمن ذلك أن «الزمان هو وسيط الرواية كما هو وسيط الحياة »[4]. ويرى **جرار جنيت** أنه «بإمكاننا سرد قصة دون سرد المكان الذي تجري فيه، كما أنه باستطاعتنا سرد تلك الأحداث تبعد أو تقرب عن مكان وقوعها، لكنه يكاد يكون مستحيلا سرد أحداث دون تعيين الإطار الزمني لها... أي... لا يمكن أن نتصور ملفوظا شفويا أو كتابة دون نظام زمني ترتيبي»[5].

وقد شغل مصطلح "الزمن الروائي" العديد من الباحثين والدارسين، وتعددت رؤاهم في ذلك، ويعد الشكلانيون الروس السابقين في إدراج مبحث الزمن ضمن دراساتهم السردية، وذلك لأهميته

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ز،م،ن)، ص: 241 – 242.

[2]– نصيرة زوزو، بنية الزمن في رواية " شرفات بحر الشمال " جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، ص: 38.

[3]– سيزا قاسم، بناء الرواية، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص: 27.

[4] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، ص: 40.

[5]– ادريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص: 98.

الكبيرة في العمل السردي، حيث ميز الناقد **توماشومافسكي** بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي: «فالمتن الحكائي هو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل، أما المبنى الحكائي فيتكون من الأحداث نفسها لكنه يراعي ما يتبعها معلومات تعنيها»[1].

إذن، المتن الحكائي هو المادة الخام للحكاية، أي الأحداث المتصلة فيما بينها والتي وقعت في الحكاية، فهي خاضعة لنظام زمني، بينما المبنى الحكائي هو الأحداث نفسها، لكن تأتي هذه الأحداث في صيغة فنية.

أما من حيث العلاقة الزمنية بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي فانه «لا يمكن أن نحدد علاقة معينة، إن ما يمكن أن نبنيه هو كون الزمنين غير متوازيين»[2]، فإذا كان للمتن الحكائي زمن ومنطق ينظم الأحداث، فإن المبنى الحكائي يولي أهمية للمنطق والنظام داخل السرد، بقدر ما يهتم بكيفية عرض الأحداث وتقديمها للقارئ.

وقد تحدث حركة سردية عمودية داخل السرد، وتلحق الرواية والخطاب معاً، ويتعلق بدرجة سرد الأحداث من حيث السرعة والإبطاء، ففي حالة التسريع يكون الخطاب اختصاراً لكثافة الأحداث كما في تقنيتي التلخيص والحذف ونعني به في العمل السردي بالاسترجاع، وفي حالة الإبطاء يعلق الزمن القصصي مؤقتاً لتمديد الخطاب في المكان كما في تقنيتي المشهد والوقفة ونعني به الاستباق وتسمى هذه التقنية الفنية بالمفارقة الزمنية.

ج– المفارقة الزمنية: نعني بالمفارقة الزمنية توقف استرسال الحكي في الرواية، وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد انطلاقاً من النقطة التي وصلتها الأحداث، إذا يلجأ السارد إلى كسر خطية الزمن من خلال العودة إلى تفاصيل الأحداث في السرد.

[1]– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1989، ص: 70.

[2]– ادريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص: 100.

1- الاسترجاع: تتمثل مهمة الاسترجاع في إخبار المتلقي بمعلومات ماضية حول الشخصية أو الحدث «إن كل عودة للماضي تشكل، بالنسبة للسرد، استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة، والمقاطع الاستذكارية تتفاوت من حيث طول المدة أقصرها والتي تستغرقها أثناء العودة إلى الماضي، وتسمى هذه المسافة الزمنية التي يطالها الاستذكار بمدى المفارقة. وهذا التفاوت يبدو واضحاً للعيان من خلال القراءة الأولى حيث نستطيع تحديد مدة الاستذكار بالقياس إلى زمن القصة وذلك من خلال الإشارة إلى الفترة الزمنية التي يمكن أن تكون واضحة ومعلومة بهذا القدر أو ذلك»[1]، تعدّ الاسترجاعات تكميلية فهي تسدّ ثغرات خلّفها السّرد، ولا تعمل على تحجيم النصّ السّردي بقدر ما تعمل على تحقيق الأفعال النّصية، لذلك فهي تقوم بدور تداولي يعمل على الانسجام الخطابي بين الأزمنة الآنية التي يسرد من خلالها السارد تفاصيل أحداث الرواية.

2- الاستباق: وهو رواية أحداث لم تقع بعد، وفي هذا النوع من السرد يحدث تداخل في نظام الأحداث، وهو «عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه، أي سرد حدث لاحق عن الحدث المسرود في لحظته الحاضرة، ولكن زمنه مستقبلي، إذ نحاول استحضاره من دون الخوض في تفاصيله الدقيقة، وعن طريق هذه التقنية السردية يتم قطع المتواليات التسلسلية، وكسر الأنساق التتابعية بالقفز إلى حدث وليد التنبؤ والخيال، وتكوين وحدة منسجمة من النسيج المحكم، وصولا إلى غايات جمالية»[2].

د- علاقة المكان بالزمان:

إن الحديث عن المكان يفرض علينا ضرورة التحدث عن الزمن، ويقتضي التأكيد على العلاقة المتينة بين هذين العنصرين، فالمكان لا يستطيع أن يستغني عن الزمان، وكذلك بالنسبة لزمان فهما

[1] - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار- الدقل - المرفأ البعيد)، ص: 239 -240.

[2]- صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة، ص: 212.

وجهان لعملة واحدة «المكان تجربة حياتية يحدد وجودها واستمرارها الإنسان في تشكيل المكان وإبداعه، وعندما نتحدث عن مكان فإننا نتحدث عن زمانه ولذلك يعد الزمان أحد أبعاد المكان»[1].

كما نجد **شاكر النابلسي** حيث يرى أن «علاقة الزمن بالمكان علاقة عضوية وثيقة، فلا مكان يتشكل، ويتحول، ويتجلى إلا بعامل زمني معين، ولا زمان يرصد، ويقوم، ويحدد، إلا بمكان يحتويه ويجعل من ذاته مسكنا للزمن»[2].

كما نجد **حسن بحراوي** يؤكد على هذه العلاقة ويثبت ذلك انطلاقا في قوله: «المكان في الرواية شديد الارتباط ليس فقط بوجهات النظر، والأحداث، والشخصيات، ولكن أيضا بزمن القصة»[3].

إذن العلاقة بين المكان والزمان في الأعمال السردية تبادلية، والأمكنة المتعددة في الأعمال السردية تفصح عن معانيها وأبعاد وظائفها السردية عبر الزمان الذي تستحضره آفاق الأشخاص وحركتها.

ثالثا: مفهوم الحدث

أما من حيث التأصيل المعجمي فقد جاء في "لسان العرب" ما يلي «حديث الشيء يحدث حدوثا وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه.. والحدث الإبداء، وقد أحدث من الحدث»[4].

وفي الاصطلاح «يعد الحدث مكونا رئيسيا وأحد أهم عناصر الرواية، وهو العنصر الأخير من عناصرها: " الزمان – المكان – الشخصيات – اللغة – الحدث "، ويعد ابرز عناصر الرواية، لأنه يكون العمود الفقري لمجمل العناصر لفنية السابقة »[5].

[1]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار– الدقل – المرفأ البعيد)، ص: 225.

[2]– شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 1994، ص: 327.

[3]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 32.

[4]– ابن منظور، لسان العرب، ص: 436.

[5]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار– الدقل – المرفأ البعيد)، ص: 207.

إن الحدث لا يوجد إلا في تأطير مكاني، عندئذ نستطيع أن نقول في مكان محدد يحدث كذا وكذا بين الشخصيات، فمن المستحيل أن يوجد حدث في اللامكان، فهو بحاجة إلى الإطار المحدد من لخصوصيته فارضا عليه تعاملا خاصا يتمثل هذا التعامل في مقدار وصف المكان وبيان تأثيره[1]، كما أن «الحدث الروائي ليس تماما كالحدث الواقعي في الحياة اليومية —وإن انطلق أساسا من الواقع— وذلك لأن الكاتب حين يكتب يختار من الأحداث الحياتية ما يراه مناسبا لكتابة روايته كما ينتقي ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني، ما يجعل من الحدث الروائي شيئا آخر، لا نجد له في واقعنا المعيش مرادفا، وهذا الأمر يظهر عددا من التقنيات السردية المختلفة كالارتداد، والمونولوج الداخلي، والحوار، والقفز، والتلخيص، والوصف، والاسترجاع التناص والاستشراف ويتم نقل الحدث عن طريق السرد، فالسرد هو نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية وهو الفعل»[2].

يعتبر السرد في الرواية ناقلا لأحداثها، ورصد لشخصيتها، تتحكم فيها مجموعة من العناصر السردية، هذه العناصر هي التي تخلق عالم الرواية، فلا يمكننا الدخول لهذا العالم إلا من خلال تقنيات تساعد على تشكيل الأحداث، تتم من خلالها التواصل مع القارئ، ومنه ينطلق السرد الروائي من الواقع ليعيد تشكيلها فنيا خاضعة لقواعد الكتابة، ذلك أن هذه القواعد في حقيقة الأمر تسهم في طي المسافات واختصار الأزمنة وملء الفجوات الناجمة عن الكاتب، وفي الوقت نفسه تسهم في دفع الملل عن القارئ وتكسب العمل الروائي الحيوية وتجدداً.

علاقة المكان بالحدث:

باعتبار المكان عنصرا من عناصر الرواية، فإن له دورا بارزا ومهما في النص الروائي، إذ إنه يتغير من مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الروائي فالمكان له دور أهمية كبيرة في تأطير المادة الحكائية وتنظيم الأحداث إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية، بحيث يمكننا القول بأنه يشكل المسار الذي يسلكه تجاه السرد، وهذه العلاقة التي بين المكان والحدث هي

[1]– ينظر: صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة، ص: 200.

[2]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار– الدقل – المرفأ البعيد) ، ص: 208.

التي تعطي للعمل الروائي تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشييد خطابه، ومن ثم يصبح التنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرئيسية للمكان[1]، إن المكان في الرواية ذو ضرورة فنية في السرد، إذ يرتبط بصلة وثيقة مع الحدث، فهو الذي يؤطّر الأحداث، ويلازم نماء الحدث الروائي وتطوره بل هو البنية الأساسية التي ينهض عليها السرد في العمل الروائي وهكذا يدخل المكان في الرواية عنصراً فاعلاً في تطور الأحداث وبنائها.

كما «يمكن أن نعد تأسيس الفضاء الروائي إنما يرتبط بنهوض القوى الفاعلة في مسار السرد وما يرتبط بها من أحداث مختلفة، وما تقوم به من اختراقات في المكان للاتصال بموضوعاتها، وكأن المكان دون الحركة والحدث يبدو كما لو كان سديماً غير محدد الأبعاد والاتجاهات، فتأتي حركة القوى فيتمفصل المكان عن اللامحدود، ويتمايز ويحوز على شخصيته وملامحه الخاصة به، إذ ليس هناك بالنتيجة، أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال»[2].

لا يتحقق المكان إلا من خلال حركة الشخصيات والأحداث، وتفاعلها معه، ولا نستطيع أن نحدد معالمه، أبعاده، وملامحه إلا بوجود هذه الشخصيات، وبالتالي لن تكون هناك رواية ما لم يكن هناك مكان ما يلتقي فيه شخص بشخص، ويقع فيه حدث ما الذي تحتاجه الحبكة الروائية والموضوع الروائي.

[1]- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 20-29-30.

[2]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار- الدقل - المرفأ البعيد) ، ص: 218.

الفصل الثاني

علاقات المكان بالسرد الروائي

المبحث الأول: جمالية اختيار الأمكنة السردية في الرواية

* تمهيد

أولا: جمالية العتبة المكانية.

ثانيا: البعد الروائي للمقبرة.

ثالثا: أنواع الأمكنة في الرواية.

المبحث الثاني: علاقة المكان بالعناصر السردية (الشخصية والزمن والحدث) في الرواية

أولا: المكان والشخصية.

ثانيا: المكان والزمن.

ثالثا: المكان والحدث.

المبحث الأول: جمالية اختيار الأمكنة السردية في الرواية

تمهيد:

لعنصر المكان في الرواية أهمية بالغة إذ بدون "المكان" لا توجد رواية حيث لكل حكاية شخوصها وزمنها وأحداثها، وبالطبع لا يمكن لهذا الفعل أن يتم في الفراغ، فالمكان يصنع الشخصيات والشخصيات تصنع أماكنها الخاصة بها، وتتبدّى الحبكة أو المفارقة موصولة بانفعالات المكان الاجتماعي أو السياسي أو غير ذلك، ونظرا لأهمية الكبرى لهذا العنصر اخترنا في هذه الدراسة التحليلية رواية "**المقبرة البيضاء**" للدكتور أحمد زغب لكي نسلط الضوء على هذا المكون الروائي، فهو يعتبر أحد مكونات البنية الحكائية للرواية، ولا بد منه لفهم الإطار العام للأحداث.

في بادئ قراءتنا للرواية استوقفنا العنوان لما يحمله من إيحاء ودلالة جمالية مكانية في نفس القارئ وكذا البعد الروائي للمقبرة الذي يتضح جليا في متن الرواية.

كذلك كان علينا التحدث على أنواع الأمكنة في الرواية، فعند دراسة المكان في الرواية نستطيع أن نعرف التنوعات المكانية التي حدثت في مراحل الرواية من مكان عام إلى خاص.

كما كان علينا أيضا أن نعطي للشخصية الرواية والزمن والحدث الأهمية التي يفرضها مسار البحث للارتباط الوثيق بالمكان الروائي، ذلك أنه لو لا هذه المفاهيم لما كان للرواية أن تقوم كفن إنساني عالمي، فليس من الجدير بنا أن ندرس المكان دون الاهتمام بالشخصية فهي المكون الأساسي في الرواية، وكذلك الزمن الذي يعد مكونا أساسيا في النص الروائي لما له من ارتباط بالمكان طيلة امتداده في الرواية، كما انه لا يمكن بناء رواية دون أحداث، فالمكان الروائي يبدو مرتبطا بالأحداث السردية، وهذا الارتباط العضوي بين المكان والحدث هو الذي يمنح الرواية تماسكها وانسجامها.

*** أهم أحداث الرواية:**

تتحدث رواية "المقبرة البيضاء" عن مقبرة جاءت وسط منطقة البياضة بوادي سوف، تعرف حاليا بمقبرة الحاج البكري، حيث كان سكان منطقة النخلة يحبون الدفن فيها على الرغم من بعد المسافة بينهم وبين منطقة سكانها، وتبدأ أحداثها عن طريق دفن الطفل بشير ذو السنتين ابن صالح في هذه المقبرة الذي توفي وقد كان الذكر الوحيد عنده، وفي أثناء دفن هذا الطفل كانت شخصية سعيد في هذا الحدث، حيث حاول الكاتب طرح إشكالات حول هذه المقبرة عن طريق لسان هذه الشخصية، وقد حاول إيجاد إجابة لهذه التساؤلات.

بعد ذلك غيّب الكاتب إشكالية المقبرة وسط الرواية ليتحدث عن مشاكل اجتماعية في قرية النخلة، حيث كانت شخصية حورية قد حُرِمت من ميراثها من قبل أخيها الحاج منصور، لتضطر إلى الذهاب إلى تونس مع والدتها حيث تزوجت لكن الظروف الاجتماعية كانت قاسية هناك، فطان الرجوع إلى بلدها وبيتها الملاذ الوحيد للنجاة، وقد كانت شخصية سعيد متعاونة مع شخصية عمار بن الحاج منصور في رجوعها إلى بيتها واسترجاع حقها من أخيها الحاج منصور الذي كان يستولي على كل شبر من أشبار تلك المنطقة إذ أنه ملّك نفسه على سكانها، وقد تطورت واشتبكت أحداث هذه الرواية حتى نهايتها ليستسلم الحاج منصور في نهاية المطاف على نزوته وسلطته على سكان المنطقة وتنتهي الرواية بوفاة الحاج المنصور ودفنه في المقبرة البيضاء.

كانت هذه أهم أحداث رواية المقبرة البيضاء للدكتور أحمد زغب.

السيرة الذاتية لصاحب الرواية: أحمد زغب من مواليد الرقيبة 10 نوفمبر 1960 حفظ ربع القرآن الكريم وبالتوازي درس في المدرسة الابتدائية المختلطة بالرقيبة، انتقل إلى متوسطة الأمير عبد القادر بالوادي ثم الثانوية المختلطة بالوادي الشعبة الأدبية نال البكالوريا آداب سنة 1979 وانتقل إلى جامعة باتنة حيث حصل على ليسانس لغة عربية سنة 1984. مارس التعليم الثانوي 14 سنة قبل أن ينتقل إلى التدريس بالجامعة سنة 2001.

الدرجة العلمية: العليا دكتوراه العلوم في الأدب العربي، تخصص أدب شعبي

الصفة أستاذ التعليم العالي، مكان العمل جامعة الوادي.

أستاذ مساعد بجامعة محمد خيضر بسكرة سنة 2001-2002 وبالمركز الجامعي بالوادي سنة 2002-2007 وأستاذ محاضر بجامعة الوادي، كما أنه عضو أطلس الثقافة الشعبية جامعة الجزائر ومشروع وحدة بحث قاموس الفولكلور الجزائري مشروع ماستر أدب شعبي جامعة الوادي.

من أهم مقالاته التي أصدرها:

- اصطلاح الثقافة والطبيعة في الشعر الشفاهي بجامعة الوادي.
- الإيقاع في الشعر الشفاهي بين الداخل والخارج مجلة الأثر بجامعة ورقلة.
- المشاهد العجائبية في مخطوط العدواني قراءة ميثولوجية مجلة الفنون الشعبية بمصر.

أما من أهم الكتب التي ألفها هي:

-ديوان إبراهيم بن سمينة سنة 2004.

- الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة سنة 2009
- أعلام الشعر الملحون ج1 ج2 ج3.ج4.
- مبادئ الأنثروبولوجيا سنة 2012.
- ديوان أحمد بن عطا الله سنة 2010.
- لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث سنة 2012.
- الفولكلور النظرية و المنهج والتطبيق سنة 2015
- عازف الربابة الأدوار الثقافية والسياسية والاجتماعية للغزوة الشفاهية سنة 2016.
- الألعاب الشعبية مقاربة تاريخية وأنثروبولوجية سنة 2016.

ومن أعماله الإبداعية: رواية المقبرة البيضاء ورواية سفر القضاة[1].

[1]- السيرة الذاتية، مختصر، من د. أحمد زغب شخصيا، docx يوم 06 سبتمبر 2016م، على الساعة 08:09 صباحاً.

أولا: جمالية العتبة المكانية

يعد العنوان من أهم عناصر العتبات النصية وملحقاتها الداخلية لكونه مدخلا أساسيا في قراءة الإبداع الأدبي والتخيلي بعامة والروائي بخاصة، ومن المعلوم كذلك أن العنوان هو نص مواز مكثف جدا، وإشارة النص الأولى، فهو الذي يوجه قراءة الرواية وهو «المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص، وتحديد سمات الخطاب القصصي، وإضاءة النصوص بها»[1].

ومن يتأمل رواية "**المقبرة البيضاء**" يجدها تهجس في المكان من خلال العنوان فهو الذي يحمل دلالات وإيماءات عدة تسم المكان بسمات محددة بإطاراتها الاجتماعية والنفسية، إن عنوان الرواية يحقق هوية النص منذ الوهلة الأولى ويوجهه نحو هاجس التوغل في العمل الأدبي.

وتبدو هيمنة المكان في عنوان الرواية جلية، فهو موجز ومختصر يتشكل من مفردتين لا تنتميان إلى نفس الحقل، فكل مفردة لها دلالتها الخاصة.

ويمكن القول أن العنوان يتكون من جزئين: عنوان رئيس هو "**المقبرة**" وعنوان فرعي هو "**البيضاء**".

أما العنوان الرئيس فيتضمن معنى الحزن والدموع فهو المكان الذي يدفن فيه الأموات، وهو ديار الموتى ومنازلهم، وتعني المقبرة السكون وعدم الحركة كما تعني رمز للموت والاندثار والتلاشي والفناء.

كلمة القبر تعنى وتشمل على أصعب معنى وهو الموت، فالقبر ما هو إلا بيت الغربة والوحدة، وقد ذكرت كلمة قبر في القرآن الكريم في حوالي ثمانية مواضيع في سور متفرقة هي التوبة الآية 84، والحج الآية 7، والممتحنة الآية 13، وعبس الآية 21، الانفطار الآية 4، والعاديات الآية 9،

[1]– علي رحماني، سيميائية العنوان في روايات محمد جبريل (الأسوار، حكاية الفصول الأربعة، حكايات وهوامش من حياة المبتلى)، الملتقى الدولي الخامس (السمياء والنص الأدبي)، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ص : 15.

التكاثر الآية 2، والعبرة من ذكر كلمة القبر في القرآن الكريم هي تذكير المسلم بأن هناك حياة بعد الموت وهذه الحياة يرى فيها الميت مقعده إما في الجنة أو في النار، فإما يكون قبر الإنسان روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

أما العنوان الفرعي " **البيضاء** " فيشير إلى اللون الأبيض، الذي هو أكثر الألوان راحة للنفس، حيث يضفي البهجة والشعور بالراحة كما أنه يوحي بنظافة المكان وطمأنة النفس والإحساس بالصفاء والسكينة، وقد ورد ذكر اللون الأبيض في أكثر من سورة يقول الله عز وجل: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾... ﴿ **وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ (آل عمران: 106 - 107).

وصف الكاتب المقبرة باللون الأبيض الذي يرمز إلى النقاء والصفاء، النظافة، الوضوح، الطهارة، العفة والبساطة، ولعله فعل ذلك لأنه يعرف أن الميت في شريعتنا الإسلامية يكفن بقماش أبيض، أو لأن هذه المقبرة أمواتها أناس اتسموا أثناء حياتهم بالتقوى والصدق وبحسن أخلاقهم والمداومة على الطاعات والأعمال الصالحة فشاع نور البياض على المقبرة، إن المقبرة هي أول بيوت الآخرة في الإسلام وتشمل كل المراحل التي يمر بها الخلق في الحياة الأبدية، والتي تبدأ بعد الموت مباشرةً، وأول هذه المراحل هي القبر ثم يتلوه الجزاء والحساب، وتقرير العباد، فإذا كان العبد معروفا بالصلاح والتقوى في حياته، أشرق وأبيض وجهه بعد موته كان ذلك مما يستبشر به، وبياض وجوهم بنضرة النعيم في الجنة، وما بُشِّروا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبدًا، كما أن حسن ثناء الناس عليه بعد موته ودعائهم له من علامات صلاحه، وربما يظهر هذا البياض على قبره، وفي ذلك دلالة على حسن الحال في الآخرة.

كما أنه يمكن أن نقول أن اختيار الكاتب للون الأبيض تعبيرا عن دافع نفسي، حاول من خلاله أن يحمل هذا المكان الهدوء والسكينة.

ومنه فإن العنوان ليس وحيد الدلالة ولا يتحرك في اتجاه واحد، بل أنه يخفي وراء مظهره الخارجي تداخلا شديد المعنى وشديد التأويل، وقد تردد عنوان الرواية أكثر من داخل المتن الروائي، إذ أن اختيار الكاتب للعنوان لا يخلو من قصدية وهكذا استطاع العنوان أن يؤدي دورا كبيرا ومكانة مميزة، كما أنه استطاع أن يختصر كل عناصر النص بصورة جمالية محكمة.

ثانيا: البعد الروائي للمقبرة

لقد جسد الكاتب مجموعة من الأمكنة تنوعت بين العام والخاص، وبين كل مكان ومكان تختبئ دلالة جمالية أبسط ما يمكن أن نقول عنها إنها ذات نكهات مختلفة أعطت للنص ذوقا مختلفا لأن التعامل مع هذه الأمكنة لم يكن خارجيا حسيا، جغرافيا، بل كان تعاملا فنيا[1]، ذلك أن قراءتنا للمتن تعدت الحدود الجغرافية إلى أغوار النص وما يحيله من دلالات مختلفة.

ومن الأمكنة الهامة التي وصفها الكاتب في الرواية وقد أثرت في الدلالة العامة لها: المقبرة، فقد ذكرت في بداية القصة بدءا من دفن الطفل ابن صالح لتنتهي بدفن الحاج منصور أي إن المقبرة أخذت حيزا معتبرا في فضاء الرواية، لكن عند قراءتنا للرواية نجد مكان المقبرة قد تم تغييبه بسبب تطور الأحداث واشتباكها، وذلك في منتصف الرواية فلم تذكره إلا في المقطعين الثالث عشر والسادس عشر.

المقبرة مكان العبرة والاتعاظ وهي النهاية التي ينتهي عندها الإنسان بعد رحلة حياتية مليئة بالمسرات والأحزان، هي «ذلك الخواء المخيف وذلك الفراغ الموحش فاسمها يرتبط دائما بحالات الأسى والحزن»[2].

[1] – ينظر : محمد عويد محمد ساير الطوبولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، 484 هـ .797 هـ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط 1، 2005، ص : 101 .

[2] – نصيرة زوزو، بناء المكان المفتوح في رواية "طوق الياسمين بواسيني الأعرج" مجلة المخبر، العدد الثامن، 2012، ص:32.

تعرف المقبرة على أنها مكان الانعزال التام عن الحياة، وهي المكان الذي ينام فيه الإنسان ويؤول إليه كل من ذاق الموت حيث السكون والهدوء، ويبقى على هذه الحالة إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها.

– اعتمد الكاتب تقنية الوصف في حديثه عن المقبرة بشكل واضح.

جاء وصفها في الرواية على أنها محاطة بسور سميك مقام بعناية لحمايتها، وجاءت غربي الطريق المعبد وشرقي الطريق المجاور لمسجد **سيدي العيد**[*]، وقد «كانت أغلب المقابر كتب عليها أسماء أصحابها وتواريخ وفاتهم... وهذا ضريح الحاج بشير وهذا ضريح فلان... وزجاجات عطر هنا وهناك مترامية على القبور الزائرون كثيرا ما يوضحون قبور موتاهم بالعطر...»[1].

الوصف هو الوسيلة الأساسية في تصوير المكان «لأنه محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات...» [2]، فهو يتناول الأشياء، ويرسمها بوساطة اللغة، وهو عنصر أساسي، فإذا كان يروي الأحداث في الزمان فإن الوصف يصور الأشياء في المكان وذلك من أجل وضع المكان الروائي في صورة فنية.

إن المتأمل في وصف الراوي للمكان يجده لا يخلو من الفعل والحركة، لأن الوصف إذا خلا من الحركة انقلب إلى شيء هامد.

---

[*] **سيدي العيد**: هو المقدم سيدي العيد بن الحاج بن امحمد التجاني الحسني الشريف، ولد سنة 1881 بالبياضة، حفظ القرآن الكريم منذ صباه وتلقى المبادئ الأولى للغة العربية والفقه والتوحيد في الكتاتيب وشيوخها خاصة الشيخ بن حميدة بكاري، تردد الشيخ على تونس كثيرا، فقد كان يقصد مشايخ وأساتذة جامع الزيتونة، فكانت لقاءات كثيرة مع الشيخ الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد اللقاني والشيخ البشير النيفر، وآخر لقاء له مع الشيخ الطاهر بن عاشور سنة 1950 منحه إجازة في علم الحديث.

كان الشيخ سيدي العيد عالما عاملا، ومرجعا فقهيا، ومفتيا واسع الاطلاع، اشتهر بالصلاح والإصلاح، إصلاح ذات البين في مدن وقرى وادي سوف، انطلاقا من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان شعاره " إنما المؤمنون إخوة " لأنه لم يكن يميز بين الناس بل كان منصفا للجميع، لذلك نال احترام وتقدير الجميع ، فكان مرجعا لحل مشاكل الناس، وإطفاء الفتن وفض الخصومات والنزعات، توفي الشيخ سيدي العيد يوم الثلاثاء 26سبتمبر 1956 عن عمر يناهز 75سنة.

[1] – أحمد زغب، المقبرة البيضاء، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص : 18، 19

[2] – سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، (د–ط)، 1985، ص : 110 .

ويظهر واضحا أن وصف المقبرة ليس غاية في ذاتها، إنما هو وسيلة لخلق المكان الروائي، وهذا المكان لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات في المكان، وتفاعلها معه إذن «لابد من اختراق الشخصيات الروائية المكان وإحياء العلاقات المكانية، وجعلها نابضة بالحركة والفعل»[1].

للوصف وظائف متعددة، منها التصوير الفني الجميل للمكان ومنها التمجيد للشخصية التي ستخترق المكان ومنها الوظيفة الإيهامية التي وظفها الكاتب في الرواية أثناء وصفه للمقبرة، والتي تعني دخول العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي ويشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم خيال ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشر بالواقع [2].

وذلك حتى يستطيع القارئ أن يتبع الأحداث أمامه عن طريق الصورة الموجودة للمكان في داخله، حيث أنه شاهد ذلك المكان بكل دقة سابقا، ومما لاشك فيه أنه تأثير إيهامي، وللمتلقي دور كبير في صنعه، إذ لا يمكن للغة أن تنقل تفاصيل الواقع، وإذا فعلت سكنت الحركة في المكان، مما يفقد المكان صورته الجمالية، لذلك استخدم الكاتب وصف المقبرة ممزوجاْ مع حركة الشخصية في قوله «غير أن تلك المرأة التي تقف أمام قبر وتجلس ثم تنصرف إلى باب المقبرة، ثم تعود إلى المقبرة من جديد...

... كان سعيد يمد يده أمام قبر جده يقرأ الفاتحة، ويدعو لجده بالرحمة والمغفرة عندما قال صالح بعد أن أمسك بالرفش:

ترى أين نحفر ؟

– هنا...

...

[1] – فيصل سمرروحي، بناء الرواية العربية السورية، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1995، ص : 257 .

[2] – ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص : 81 .

ذهب محمد يستطلع مجي الإمام، ومكث صالح مع ابن أخته سعيد يستكملان تهيئة القبر، ثم وقفا ينتظران قدوم محمد وكان ينظران من حين لآخر إلى تلك المرأة الغريبة... نهضت المرأة من أمام القبر، وتوجهت إلى الباب، ثم ألقت نظرة أخيرة إلى القبر...»[1].

لقد امتاز الوصف في هذه المقاطع بأنه ينتقل من موضع إلى آخر بوساطة حركة الشخصية، فالكاتب لا يصف حركة الشخصية بل يصف محيطها الذي التي تنتقل فيه، وقد عمد الكاتب إلى إعطاء هذا المكان الهامد حركة وحيوية من أجل إبراز صورة المقبرة على أنها لها قيمة كبيرة في محيطها، ومن أجل إبراز الجمالية التي جسدت في المكان «إن جمالية المكان لا تتجسد بتسمية الأمكنة الروائية أو بتحديد أبعادها أو وصفها، إنما تظهر بوساطة التقنية التي تقدم أمكنة مرتبطة مع الحوادث والشخصيات والزمن، بحيث تجعل القارئ يلمس هذه التقنية ويتفاعل معها دونما شعور منه فيكون وكأنه بداخلها وذلك من خلال قدرة المؤلف على التصوير الدقيق والوصف الذي يشمل الأجزاء الصغيرة والتفاصيل المتناهية في الدقة ينتقل بالمكان من فضاء الرواية إلى الواقع المحسوس بطريقة تجعلك تصدق وجودها فعلا»[2].

وخلاصة القول إن الوصف الغالب الذي أعتمده الكاتب لا ينقل الأشخاص كما تراها العين، بل ينقلها وفق منظور نفسي فني جمالي مرتبط بالأحداث والشخصيات والزمن وذلك من أجل خدمة البعد الجمالي للرواية.

إن الكاتب في تصويره للمقبرة، لم يكن مركزا على أوصافها فحسب، بل كان يسعى إلى معرفة مدى قداسة هذه المقبرة في نفوس الناس، فقد كانت بؤرة اهتمام الكاتب في تقديس الناس لهذه المقبرة واهتمامهم الكبير بدفن موتاهم فيها دون المقابر الأخرى إن كان الميت صغيرا أم كبيرا وعلى الرغم من أن المقبرة مكان العزلة والحزن والفراق، إلا أن شخصية الرواية كانت تحب هذه المقبرة وترى

[1] – أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص :21 – 22

[2] – محمد عبد الرحمان يونسي، الفضاء الروائي في الرواية اليمنية ، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا العدد 301، 1996، ص : 19.

فيها حياة هادئة خالدة ملؤها الطمأنينة والراحة والسكينة، ربما لأن الأقرباء يدفنون فيها من أجل الاستئناس بهم، أو أنها مباركة، وبخاصة كونها قريبة من مسجد سيدي العيد بن يامة الولي الصالح العلامة الفقيه الشيخ المشهور بكونه معلما ومدرسا في أمور الدين والدنيا، فيعود التقديس والمهيبة اللذان وقرا قلوب الناس، ويختارون أن يدفنون في هذه المقبرة إلى محبتهم الكبيرة لهؤلاء الأولياء الصالحين وخاصة أتباع الطريقة التجانية.

إن المقابر الإسلامية كثيرة، لكن أرفعها مقاما وقدسية، هي تلك التي تحتوي بين أحضانها أو بجوارها، شخصيات مهمة إسلامية لها رفعة ومكانة جليلة ومعظمة عند الله سبحانه وتعالى كالأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، الذين تفانوا في حب الدعوة والتوحيد لله تعالى فمن خلال وجود هذه الشخصيات يعظم الناس المكان، وترفع مكانته وتجلل لسبب وجودهم فيه.

ثالثا: أنواع الأمكنة في الرواية

استطاع بعض النقاد والدارسين والباحثين المعاصرين تعيين أنواع مختلفة للمكان، فمن خلال دراسة (**بروب**) لمجموعة من الحكايات الشعبية استطاع تحديد ثلاثة أطر مكانية وهي:

المكان الأصل والمكان الذي يحدث فيه الاختبار التشريحي والمكان الذي يقع فيه الإنجاز أو الاختبار الرئيسي[1]، ويستند تقسيمه على قيمة الحدث، فالمكان الأول يمثل البيئة التي نشأت فيها الشخصية، والثاني حالة وسطى بين المكانين ومكان طارئ تواجدت فيه الشخصية لفترة ما، أما المكان الأخير فهو مكان استوعب الأحداث الأخيرة لذلك العمل الروائي.

ونعتقد بأن ذلك يجعل الأحداث محورا لتحديد أهمية المكان، فالمكان لا يستطيع أن يمثل نفسه بمعزل عن الحدث، مع أن الأول هو الإطار الذي يحتوي الثاني.

[1] – ينظر: سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص : 57 و59.

*** الأماكن العامة والخاصة الواردة في الرواية:**

1- الأماكن العامة: المقصود بالمكان العام هو ذلك الذي يكون مشتركا بين الشخصيات في العمل الروائي، أو كما عبر عنه **حسن بحراوي** بمكان الانتقال حيث عرف هذا النوع من الأمكنة بأنه «مسرح لحركة الشخصيات وتنقلاتها»[1]،**و**من الأمكنة العامة التي وردت في الرواية نجد:

أ- **المدينة:** مثل وصف مكان المدينة بصورة عامة محطة راحة القارئ، وذلك من أجل استيعاب الأحداث بعمق ومن أجل وضوح المكان الذي تجري فيه الأحداث، منذ بداية الرواية.

جاء وصف مدينة البياضة على النحو التالي: «مدينة البياضة ككل القرى والمدن المتواجدة في منطقة سوف، المساكن فيها متزاحمة على غير نظام، يشقها الطريق الولائي إلى قرى ومداشر أخرى، بناياتها يغلب عليها الطابع المحلي، منازل تقليدية مبنية بالجبس، على بعضها القباب المستديرة، وتزين الأقواس بعضها الآخر، يجد الزائر بعض المفارقات بين هذه البنايات التقليدية المتزاحمة، وبين بعض العمارات العالية القليلة ذات الشرفات الأنيقة، التي تزين جنبات الطريق في بعض أنحائه، والتي تشمخ متحدية، وكأنها تقول في عناد وكبرياء... علام يدل وجودي هنا في هذه المدينة المغمورة في الكثبان والصحارى ؟ ألا يدل على أن الإنسان تحدوه رغبة ملحة في البقاء والخلود؟»[2].

أراد الراوي أن ينقل صورة واقعية للمدينة، وأن يوثق كل التفاصيل من أجل أن ينقل صورة الواقع لهذه المدينة وذلك من خلال التركيز على صورة المعمار لمدينة "البياضة".

إن الدقة في وصف المدينة، أمر يدل على سعي الراوي لتوثيق حالة المجتمع التي تتمثل في تمسك أهله بالحياة على الرغم من صعوبة المنطقة التي تغمرها الصحارى والكثبان، والمعروف أن الصحراء يحيل ذكرها إلى صعوبة الحياة، الوحشة، الفراغ، الصمت، الضياع، الضجر، الكآبة،..إلا أن سكان

[1] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 40.

[2]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء ، ص: 14 .

هذه المنطقة متمسكون بالحياة، فحولت من صحراء إلى مدينة، وفي ذلك يدل على أن الإنسان تحدوه رغبة ملحة في البقاء والخلود كما ذكر الراوي.

وقد تعدت هذه الرغبة في الحياة إلى نسي الموت والتشبث بالحياة إلى أقصى درجة في ذلك يقول الراوي إنها «عمارات مصممة بعناية تصرخ بأن الإنسان متشبث بالحياة إلي أقصى حد، فهي ملك لأشخاص أفنوا أعمارهم في الكسب والاكتساب والبناء والتعمير، لعلهم نسوا النهاية الحتمية التي تنتظرهم... الإنسان يتشبث بالحياة حتى تظن أنه نسي الموت، بل تظن أنه يرفض الموت...»[1].

لعل الراوي القول قد لمح إلى القول إنهم خالدين في هذه الدنيا دون النظر إلى تلك المقبرة الموجودة في وسط مدينة البياضة والتي تعتبر أول بيوت الآخرة.

إذن فقد استطاع الراوي أن ينقل إلى القارئ الملامح الثابتة لهذه المدينة وما تمثله من دلالات البقاء والتشبث بالحياة في هذا المكان.

ب– محطة الحافلات:

يرد الحديث عن مكان المحطة بمناسبة سفر حورية إلى بيتها بنفطة — بتونس– بعد أن باركت لأخيها زواج ابنه عمار، ويمكن اعتبار هذا المكان عتبة لمعرفة قصة " حورية " المأساوية، ففي هذه المحطة جلست لمدة زمنية مع سعيد الذي رفقها في طريقها لأنها لا تعرف المنطقة حيث دار حديث مطول بينهما، جاء في بعض أجزائه: «كان على سعيد أن يذهب إلى بيته الذي لا يبعد كثيرا عن محطة المسافرين فرأى أنها فرصة لإشباع فضوله والتعرف أكثر على المرأة الغريبة فقال.

أنا أيضا ذاهب إلى هنالك الله يخلف عليك يا وليدي انسني فأنا لا أعرف البلاد والحافلات كثيرة. لا بأس يا الحاجة سنصل إلى هنالك»[2].

[1]– أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 15.

[2]– المصدر نفسه، ص: 68 – 69 .

كان مكان المحطة في الرواية مصدر إشباع فضول سعيد لمعرفة المرأة الغريبة "حورية" ومعرفة قصتها، كما أنه من الأمكنة المهمة في الرواية، وذلك لأننا تمكنا من فهم لغز المرأة الغريبة ومعرفة حكايتها.

لقد غيب الراوي عنصر الوصف الهندسي في المكان تماما وذلك لأن الحدث فيه غلب وطغى عليه، وهو «المكان المعروف بالمجازي الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث ومكملاً لها، وليس عنصراً مهماً في العمل الروائي إنه مكان سلبي مستسلم يخضع لأفعال الشخصيات"[1]. وهو مكان لم يكن محددا مسبقا لدى "سعيد"، يقول "**حسن بحراوي**" «إن المكان الروائي لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال»[2].

من خلال أحداث قصة "حورية"، أخذ هذا المكان بعدا نفسيا جماليا لشخصية "سعيد" عندما تمكن من معرفة هذه القصة، كما أخذ بعدا جماليا من خلال تفاعل الشخصيتين معا، إذن فالكاتب نجح في خلق مكان فني في الرواية فجمالية المكان لا تتجسد بتسمية الأمكنة الروائية وتحديد أبعادها، بل تتجسد بوساطة الطريقة الفنية التي تقدم الأمكنة مرتبطة بالحوادث.

جـ- المقهى:

«من العبارات التي تتكرر في حياتنا اليومية بين متحاورين، موعدنا السابعة على القهوة... نتقابل الليلة على القهوة...»[3].

[1]- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص: 28.

[2]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 29 .

[3]- مصطفى الضبع، المقهى في الرواية العربية، مجلة وجهات نظر، العدد 11، يوليو، 2000، ص : 05.

ومن العبارات المماثلة التي وردت في الرواية: «نلتقي في منتصف النهار في مقهى الأصيل؟»[1]... هذا ما قاله "عمار" "لسعيد"، وذلك للحديث عن قصة "حورية" ومشكلتها.

أخذ المقهى بعدا جماليا من حيث الدلالة في رواية "المقبرة البيضاء" في أنه جزء من حبكة قصة "حورية "، فهو يعتبر المكان الذي أدى دورا إيجابيا لمشكلة "حورية" من خلال حديث "سعيد" و"عمار".

يعتبر المقهى الوجهة الإيجابية في أنه المكان المتمثل لجانب الخير الذي سعى إليه "سعيد" من خلال إيجاد حل لمشكلة "حورية".

«قال سعيد متحمسا...أسعى لإعادة حورية إلى البلاد....

لابد أن تسعى معها لاسترداد حقوقها المادية فهو السبيل الوحيد إلى عودتها».[2]

يعتبر المقهى «مكانا لاسترداد الحرية المستلبة في أماكن أخرى»[3] فهو مكانا اجتماعي ثقافي حضر في هذه الرواية من أجل استرداد حق "حورية" وملكيتها الشرعية لميراث والدها.

2- الأماكن الخاصة:

الأماكن الخاصة هي التي الذي تتميز بالمحدودية والضيق، وقد عبر عن ذلك "**حسن بحراوي**" قائلا عنها إنها أماكن للإقامة، وتتمظهر في البيت والغرفة... وغيرها من الأمكنة التي تعد ملكا لصاحبها سواء كانت هذه الملكية دائمة أم مؤقتة[4].

* **البيت:** تعددت البيوت في رواية "المقبرة البيضاء" إلى أكثر من بيت منها بيت الحاج منصور، وبيت صالح، وبيت حورية.

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 155.

[2]- المصدر نفسه، ص: 158 – 159.

[3]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص: 179.

[4]- ينظر: إسماعيل زغودة، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، مذكرة دكتوراه، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2013-2014، ص : 245 .

تشكل البيوت «المرتكز الأول والمؤشر الدال على الطبيعة الاختيارية للشخصيات إذ يشتغل البيت سرديا بوصفة البؤرة الأولى التي يشغلها الإنسان لتحقيق وجوده البشري في المكان»[1].

وكما يقول "**باشلار**" «البيوت جسد وروح»[2]، ويمكن القول إن مكان البيت في رواية "المقبرة البيضاء" يعبر عن المأوى الذي تجتمع فيه العائلة، كما يعبر عن الإحساس بالأمان والاطمئنان ولم الشمل العائلي، كما أنه مكان لحل المشكلات العائلية.

أ- **بيت الحاج منصور**: لقد منح الكاتب خصوصية في التعبير عن الفرح الذي يوجد داخل بيت الحاج منصور من خلال وصف الأحداث والأشياء الموجودة فيه، وقد جاء وصفها كالآتي:

«النساء يحتشدن في ساحة الحوش، يرفعن أصواتهن بالزغاريد تارة، وبالدعاء الدار والعروسين تارة أخرى، كل واحدة منهن تحاول أن تتفنن في أناقتها فتلبس أحسن ما لديها من ثياب وأغلى ما لديها من فساتين وتحاول أن تستعرض أكبر قدر ممكن من الحلي، وتحاول أن تجلب النساء إليها...

أما العجائز فيقمن بدورهن حلقة ويرسلن أصواتهن المتثاقلة بأغانيهن التقليدية:

هذا النهار المبارك والآخر سعيد إلى حضر محمد وسيدي عبيد...

أورورورووي...

وتتعالى الزغاريد والأغاني والتهاني والصياح والجلبة»[3]، ظهر المكان بكل تفاصيله متزامنا مع صوت النساء والفرح الموجود فيه واستطاع أن يربط الحدث به، لتصبح دلالة البيت مؤثرة لأن الكاتب لم يقدم البيت من خلال وصف جدرانه وأثاثه ومختلف مكوناته، وإنما صب كل تركيزه على الشخصيات الموجودة في البيت التي تزدحم المكان، ولكن هذا الفرح الذي يغمر المكان بمناسبة الزواج

[1]- د. محمد صابر، وآخرون، جماليات التشكيل الروائي " دراسة في الملحمة الروائية " مدارات الشرق لنبيل سليمان، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2008، ص : 240.

[2]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ص : 38 .

[3]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص 26، 27.

غزته مشاعر الفجيعة والحزن بسبب وفاة الطفل بشير ابن صالح وهو جار الحاج منصور وتربطهم صداقة منذ القدم، يقول الراوي «ويدخل غلام يافع ويقترب من الحاجة تبر ويهمس في أذنها بوفاة الطفل الصغير بشير بن صالح بن الحاج بشير.

وتهتز المرأة بعنف وتبصق عن صدرها:

- بسم الله الرحمان الرحيم...!!!

من قال لك ؟؟

في الحانوت الرجال يتحدثون: قالوا أنهم تلقوا تليفونا»[1]، يسير الوصف في المقطعين السابقين باتجاهين: الاتجاه الأول يمثل وصفاً تفصيليا للمكان فهو يمثل دلالة ظاهرية مرتبطة بواقع المكان، والاتجاه الثاني يعكس الحالة النفسية(الداخلية) للشخصيات، وقد اختلطت مشاعر المكان بالفرح والحزن فأخذت اتجاهين متضاربين: الأول مرتبط بالفرح والثاني مرتبط بالفجيعة والحزن، ونعتقد أن الكاتب قد نجح في إعطاء خصوصية مزدوجة لهذا المكان وشعورا متضاربا عما هو موجود في البيت.

ب- بيت صالح: جاء ذكر بيت "صالح" في الرواية أثناء هبوط الليل عندما بدأت النفوس تهدأ وتعود إلى رشدها، وقد جاء في وصفها كالتالي: «أخذت النفوس تهدأ شيئا فشيئا فلم تعد تسمع أصوات انتحاب النسوة، أما البنات فقد استسلمن لسلطان النوم، وأما بقية الحاضرات فقد تحلقن حول موقد يصنعن الشاي حين دخل "سعيد" وخاله، وعزى الحاضرين تعزية جماعية، واتخذ مكانا له بعد أن دعته "الحاجة مسعودة" إلى جانبها...»[2]، لقد لجأ الراوي إلى وصف البيت من خلال الاعتماد على وصف محتوياته، فطغت صورة المكان المتواضع على ذلك البيت، فأصبح مظهره الداخلي يدل على ذلك التواضع (موقد النار، يصنعن الشاي)، وفي ذلك دلالة على أن أجزاء المكان تمثل المكان كله.

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء ، ص 28..

[2]- المصدر نفسه، ص : 49-50.

كما اتصلت رؤية المكان بدلالات الحزن والأسى تارة وتارة أخرى بتقبل قدر الله تعالى، وقد غيب الكاتب عنصر الوصف الهندسي في هذا المكان (البيت) وصب تركيزه على حركات الشخصيات وحديثها حول المكان الفارغ الموجود بجانب قبر الحاج بشير في المقبرة، وذلك بسبب شعور الشخصيات بالراحة أثناء دفنهم بجانب الأقارب، وفي ذلك دلالة على أن المكان يمنح الشخصية شعورا مؤثرا نتيجة قيمة المكان في داخلها.

جـ- **بيت حورية:** يمثل بيت "حورية" المأوى الوحيد لمستودع الذكريات في ذهنها حيث مضى زمن من عمرها بين أحضانه، فهو مهد الطفولة وذكرياتها، لذلك نجدها أكثر التصاقا به، كما نرى فيه الانتماء الشديد التي تظهره النفس الإنسانية لديها، وذلك بسبب حاجتها في بيتها الموجود في نفطة- بتونس- فقد كانت داخل مكان غريب عنها، وشعورها بالقلق وعدم الاستقرار فيه جعلها تشعر بالغربة، وهو تعبير عن عدم التآلف بين الشخصية والمكان، وفي كل ذلك دلالة جمالية على أن المكان الأليف الذي تميل إليه النفس الإنسانية يمنح الدفء والاطمئنان على لأصحابه، أما المكان الطارئ الملتصق بالظروف الصعبة والقلقة وعدم الاستقرار فيبقى غريباً.

ما يمكن استخلاصه بعد دراسة أنواع الأمكنة في الرواية، براعة الراوي من خلال وصف الأمكنة التي عمد فيها إلى مبدأ التدرج حيث نجده ينقل الصورة العامة ثم يذكر بقية تفاصيلها بدقة، وهي من الأدوات التي تجعل القارئ يعايش أحداث الرواية، ويسهم في تخيل المكان، إضافة إلى ذلك نجد الكاتب منذ بداية الرواية إلى نهايتها قد ربط المكان بالشخصيات، لأنها تعد من العناصر الأساسية في البناء الروائي، فقد أكسبت البنية السردية واقعية ومصداقية واضحة.

المبحث الثاني: علاقة المكان بالعناصر السردية (الشخصية، الزمن، الحدث)

أولا: المكان والشخصية

تعد الشخصية الروائية مكونا أساسيا في بناء الرواية، فهي العنصر الفاعل الذي يسهم في وضع الأحداث ويؤثر في سيرها وتحركاتها، وهي التي تبث الحوار وتستقبله وهي التي تصطنع اللغة وتصف المواقف أو المناظر وهي التي تعمر المكان وتتفاعل مع الزمن[1].

الشخصيات في الرواية رئيسية وثانوية وهي شخصيات قروية ريفية، مرتبطة بإطارها البيئي، أي بالمكان الذي تتحرك فيه.

1- الشخصيات الرئيسية

لقد تعدد الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتعددت الأماكن نتيجة للضرورة التي فرضها تطور الأحداث، ولذا كان علينا ذكر كل مكان برزت فيه الشخصية بشكل مستقل عن الأمكنة الأخرى.

أ- شخصية سعيد:

أكثر الشخصيات حضورا وبروزا، وأكثرها تحركا وهي الأعمق تأثيرا في مجتمع الرواية، إضافة إلى أنها تتداخل مع شخصيات الرواية، ولا نكاد نجد مقطعا من مقاطع الرواية يخلو من حضور شخصية "سعيد".

[1]- ينظر : عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، (د،ط)، 1998، ص:91.

«سعيد شاب في ربيعه الثاني والعشرين وسيم الطلعة، تبدو عليه علامات الفطنة والذكاء»[1] وهو نموذج للشخصية المثقفة الفاعلة والمحركة لأحداث الرواية المرتبطة بالمكان ومفرداته، وعلى الرغم من أنه يعيش في المدينة إلا أنه متمسك بعادات أهل الريف وهو مكان سكن أخواله، فسعيد يميل إلى أخواله كثيرا وكان ينتهز كل عطلة للذهاب إليهم.

شخصية "سعيد" ساعدت في صنع الأحداث بصورة فعالة فقد كان يدخل نفسه في كل حدث يقع في الرواية، لقد كان فضوليا يحب أن يطلع على كل شيء، فقد كان يسأل كثيرا وأول الأسئلة ما يتعلق بمكان المقبرة التي يقدسها سكان القرية ومنهم أخواله، يقول الراوي: «جالت في ذهنه خواطر عديدة وهو يركب المقعد الخلفي للسيارة المتجهة إلى منطقة البياضة التي تبعد عن مدينة الوادي بحوالي ثمانية كيلو مترات لماذا يهتم الناس بموتاهم ؟ ما يهم أن يدفن في مقبرة مهما كانت وقد مات ؟ ولماذا يهتم الناس باختيار مقابر دون أخرى وأماكن دون أخرى ليدفنوا فيها ؟ كثيرا ما كان يسمع فلان أوصى بأن يدفن في مقبرة كذا بعد أن يموت وفلانا كذا وكذا أيضا وفلانا... ومقبرة البياضة بالذات نالها حظ وفير من الوصايا من هذا النوع... أي شيء يعطي مقبرة البياضة هذه القداسة؟»[2].

يمثل هذا المكان بالنسبة لسعيد جملة من الأسئلة المحيرة التي دارت في ذهنه وكان يجيب عليها بعد ذلك.

ترددت حضور شخصية "سعيد" من مكان إلى آخر، ولعل المكان الذي كان بارزا في الرواية بعد المقبرة هو محطة المسافرين، في هذا المكان دار حوار بين "سعيد" و"حورية"، وقد كشف هذا الحوار عن وعي شخصية سعيد وإدراكه للواقع النفسي والاجتماعي الذي عاشته "حورية"، وقد أثر هذا المكان عليه بصورة جلية بسبب القصة المأساوية التي سردتها حورية، فقد أبدى تعاطفه تجاهها وأندمج مع قصتها وقد عزم على مساعدتها وإرجاع حقها من أخيها.

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 57.

[2]- المصدر نفسه، ص : 11- 12.

يمكن القول إن شخصية سعيد كانت إيجابية ومتفاعلة وتتحرك من مكان إلى آخر، وقد أحدثت حركة كبيرة في الرواية من بدايتها إلى نهايتها وأعطت الأمكنة جمالية فنية تكمن في علاقة الشخصية بالمكان، والتي أسهمت في تشكيل جماليات مبعثها عملية التفاعل مع الأمكنة.

ب – شخصية صالح:

رجل في سن الأربعين أب لثلاث بنات، رزق بولد لكن " الله " عز وجل شاء أن يأخذه في رحمته وهكذا كانت بداية الرواية، حيث يتجه صالح لدفن ابنه ذي السنتين من عمره في جو محزن ومؤلم متوجه إلى مقبرة البياضة، وهو المكان الذي يدفن فيه كل أحباب الأولياء الصالحين في نظره.

علاقة المقبرة ب"صالح" علاقة حب أبدية لا يستطيع أي إنسان أن يزحزحها: فعلى الرغم من قرب مقبرة أولاد أحمد من قريته، إلا أنه يفضل أن يدفن ابنه في هذه المقبرة التي تمثل بالنسبة له مكانا للراحة والاطمئنان بعد الموت، وكونها قريبة من مسجد "سيدي العيد بن يامه" مقدم الطريقة التجانية في البياضة، إذ يمثل هذا المكان لصالح موضع البركة والراحة.

بعد ذلك تنقلنا الأحداث المرتبطة بشخصية صالح إلى القرية، فعلى الرغم من أنه حزين على فقدان ابنه إلا أنه ذهب ليبارك لمنصور تنقل صالح من بيت حزين إلى بيت مليء بالفرح.

استطاعت شخصية "صالح" التأقلم مع المكانين المتعارضين، ففي البيت الفرح بالزواج كان صابرا ولا يظهر حزنه لأحد لقد كان متماسكا ومؤمنا بقدر الله، أما في البيت الحزين وهو بيته فقد بدا على "صالح" بعض الحزن والحسرة على وفاة ابنه، كما استطاعت شخصية صالح أن تتفاعل مع المكان فقد ظهرت قوية تستطيع التعايش مع أي مكان على الرغم من الحالة النفسية التي كانت تمر بها.

جـ- الحاج منصور:

هو من الشخصيات التي كان لها حضور قوي في الرواية، جاء وصف هذه الشخصية كما يلي: «رجل يقترب من سن السبعين قصير القامة أسمر البشرة، مستدير الوجه، يزينه شريط رفيع من الشعر الأبيض القصير على شكل نصف دائرة...»[1].

"منصور" هو اسم على وزن مفعول مشتق من الفعل نَصَرَ، ومن هنا نطرح تساؤلا: هل استطاع الحاج منصور أن يحقق النصر لكبريائه ونزواته؟، إنه يعتبر نفسه السلطة والقوة المسيطرة على أهل القرية، فالكاتب يهدف من خلال اختياره لاسم هذه الشخصية «أن تكون متناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته، وللشخصية احتماليتها ووجودها»[2] وهو ما يمكن ملاحظته في طبيعة هذا الاسم الذي يحيل إلى القوة والسلطة.

علاقة هذه الشخصية بالمكان واضحة وجلية، فقد كانت تسيطر على كل الأمكنة التي تريدها باعتبار أنها شبه المالكة والوحيدة لكل شبر من القرية، فالسرد يشير إلى أنه يعتبر أن له الفضل على سكان القرية وذلك أن والده كان أول من عمرها، إذن يمكن القول إنها شخصية سلطوية، فقد مثلت علاقة شخصية "الحاج منصور" بالمكان رمزا للسلطة في القرية.

سلطة "الحاج منصور" طبقت حتى على أقرب الناس إليه وهي أخته "حورية" التي فرضت عليها هذه السلطة من خلال حرمانها من بيتها، وقد عرفنا ذلك من خلال سرد الرواية، وظهرت السلطة كذلك من خلال وقوفه في وجه جاره "صالح" في قضية الأرض التي سيجها.

لعل تأثر " الحاج منصور" بالمكان، وترك بصمته على بنية نفسيته، فظهرت سطوته وسيطرته عليه وعلى أفعاله ومنح صورة رسخت في وجدانه وانعكس على طبيعته.

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 112 .

[2]- أحمد عوين، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، دار الوفاء، (د،ب)، ط1 ، 2009، ص : 50 .

وقد تعدت سلطته أيضا على المكان الذي يوجد بجانب صديقه المتوفى "الحاج البشير" في المقبرة، فقد قام بحجز المكان الفارغ بجانب صديقه حيث اعتقد الجميع بأن شخصا غريبا دفن فيه، والحقيقة كانت غير ذلك، إذ بعد أن كان كل واحد منهم يريد حجزه لنفسه كان المكان مكوما بالتراب وهو فارغ. ولم يتم حل لغز المكان الذي حجز إلا في نهاية الرواية، وذلك عندما توفي الحاج منصور ودفن فيه وفي نهاية الأمر استسلم "الحاج منصور" لنزواته السلطوية ولم يستطع أن يفرض سيطرته إلا على المكان الفارغ بجوار صديقه في المقبرة، ومنه فإن هذه الشخصية عاشت علاقتها بالمكان علاقة متحولة، في الماضي عاشت السلطة والقوة، أما في آخر حياتها فقد استسلمت وفقدت سلطتها على المكان.

د – شخصية حورية:

"حورية" امرأة مؤمنة بالقدر مناضلة في سبيل الحياة القاسية، عاشت بائسة عانت الحرمان رفقة زوجها وابنتها وابنها مغتربة عن وطنها في مدينة نفطه بتونس، وذلك بسبب الغبن التي تعرضت له من طرف أخيها الذي سلبها حقها الشرعي في ميراث والدها.

ازدادت معاناة "حورية" بعد وفاة ابنتها وزوجها، حيث أن المكان الذي تعيش فيه صار يفتقر إلى أبسط متطلبات العيش الكريم، فقد كان ابنها كل أملها بعد أن انقطعت عنها كل أسباب العيش الكريم...كما ورد في السرد «فتساعده كلما وجدت إلى ذلك سبيلا فتترك الأعمال التي تقوم بها في مساعدة بعض صاحبات البيوت الكبيرة مقابل غذاء، أو كساء أو قليل من النقود وتنصرف إلى المزارع وتقوم مقامه»[1].

"حورية" كانت تحن إلى الموضع التي ولدت فيه، المكان التي عاشت فيه طفولتها مدة عشر سنوات قبل أن تذهب إلى تونس، هذا المكان الذي هو بيت أخيها كان يمثل بالنسبة لها الراحة والاطمئنان، لكن أيضا كانت تتوقع من أخيها أن لا يرحب بها لذلك انعكس هذا الخوف على

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 165- 166.

نفسيتها، فبقليل من التأمل يدرك القارئ معاناة "حورية" وقصتها المأساوية التي عاشتها منذ الصغر وحرمانها من أبسط حقوقها وحنينها إلى مسقط رأسها وأحبابها وناسها، وهكذا كان لهذا المكان تأثير كبير على مشاعر "حورية" ونفسيتها، ويتجلى ذلك عن طريق الكلمات التي تم التعبير من خلالها على المكان، حيث تعكس لنا الشخصية وما تعانيه من حالات شعورية كشفت بوساطة إبداء رأيها في المكان ومدى تفاعلها معه، سواءً كانت علاقتها بالمكان إيجابية أم سلبية: ففي علاقتها الأولى تسعى إلى انتقاء الكلمات العاطفية المحملة بالشوق للتعبير عن محبتها للمكان وجماله والفته، وحاجتها له وبقائها فيه، وفي علاقتها الثانية تختار ألفاظ الألم والحرمان والمعاناة التي تعرضت لها بعد وفاة والدتها وحرمانها من حقوقها الشرعية في الميراث.

لقد تعددت علاقات الشخصيات بالأمكنة في رواية " المقبرة البيضاء "، منها ما ارتبط بالبعد النفسي، ومنها ما كان ارتباطه اجتماعيا، فمهما انتقلت الشخصية من موطنها الأصلي، فإنها تظل مرتبطة به. وعلى الرغم مما يوفره له هذا المحيط المجاور من حاجيات، ويخلق نوعا من الألفة بهذا المكان، إلا أنه يظل مرتبطا ببيئته الاجتماعية وبمكانه الأصلي والطبيعي، ناهيك على أن حورية عانت ظروفا اجتماعية في هذا المحيط المجاور من فقر وحرمان، وقد ظهر هذا البعد جليا في الفقرة التالية من متن الرواية:

«... لم ابتعد كثيرا كما قد تتصور، لكن الفقر والحدود بين البلدان جعلت البلاد بعيدة عني».[1]

لقد جسدت الأماكن التي تواجدت فيها شخصية "حورية"، البعد النفسي والاجتماعي وقد أعطت دلالات واحدة، وهي سلطة القوة والفقر والرحمان والغربة وهكذا استطاع أن يكشف الواقع النفسي والاجتماعي الذي عايشته الشخصية.

[1]-أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 71.

نلتمس جمالية علاقة هذه الشخصية بالمكان في الانتماء الحميمي وقد عزز هذا الانتماء بعوامل وظروف في نفس "حورية" كذكريات الطفولة التي جرت في مكان نشأتها، فهي ترتبط بشعور وعاطفة تجاهه، وتسهم في خلق علاقة الانتماء والحب للمكان، ولا نقول إن هذا الانتماء هو العامل الوحيد الذي دفع "حورية" إلى العودة إلى وطنها، وإنما هناك عوامل أخرى فرعية كالظروف الاجتماعية المزرية التي تعرضت لها كما ذكرنا سابقا.

هـ – شخصية عمار: وهو الابن البكر لحاج منصور

تعتبر شخصية "عمار" داخل السرد بسيطة وواعية، سعى عمار لإرجاع عمته حورية إلى بيتها واسترجاع حقها.

ومن خلال اسمه يمكن القول أن عمار يحمل دلالة الإعمار وخلافة الأرض، فشخصيته هنا أسهمت في إعمار بيت عمته حورية ورجوعها إلى وطنها.

2 – الشخصيات الثانوية:

وهي شخصيات محركة للعمل السردي، وقد اشتركت مع الشخصيات الأخرى وقامت بتسيير الأحداث وهي:

أ – شخصية محمد: وهو أخ صالح ظهرت شخصيته في بعض الأمكنة من الرواية، بداية في السيارة أثناء الذهاب للمقبرة لدفن الطفل بشير وفي بيت صالح.

ب – الشابة فطومة: وهي زوجة صالح وأم الطفل بشير، حضرت شخصيتها في مكانين، وهما البيت والمقبرة.

جـ – الصافية: أرملة الحاج بشير ووالدة صالح، حضرت شخصيتها في بيت الحاج منصور وبيتها والمقبرة.

د – الحاجة مسعودة: أخت صالح حضرت شخصيتها في مكان واحد وهو بيت صالح.

هـ – الجموعي: ابن سالم اخو حورية، حضرت شخصيته في بيت حورية وغرفة الحاج منصور.

أسهمت هذه الشخصيات في تطور وتفعيل وتحريك الأحداث في الرواية، ولقد كان لكل شخصية دور فعال في الأمكنة الواردة في الرواية.

وخلاصة القول لما جرى استعراضه من أشكال تفاعل الشخصيات الروائية بالمكان في رواية "المقبرة البيضاء" ينتهي إلى أن المكان كان له دور في تحديد سمات جل الشخصيات في الرواية من جهة، ورسم ملامح هوية تلك الشخصيات من جهة أخرى «لأن المكان يتخذ قيمته الحقيقة من خلال علاقته بالشخصية»[1].

ثانيا: المكان والزمن

تجدر بنا الإشارة إلى العلاقة التي تربط المكان بالزمن الذي يعد مكونا أساسيا في البناء الروائي، إذ يتداخل الزمان والمكان ليحدد معنى المكان، فالزمان والمكان يمثلان «العامل الأساس في تحديد سياق الآثار الأدبية من حيث اشتمالها على معنى إنساني»[2]. إن المكان والزمان ضروريان في تحديد العمل الأدبي، ذلك أنه لا يمكن تصور لحظة من لحظات العمل السردي في الرواية دون إرجاعها في سياقها الزمني، ومن دونهما لا يمكن بناء أثر أدبي بأن طبيعة هذه الآثار تعبر عن وجود إنساني ضمن إطار زمكاني.

يوظف الكاتب في الرواية تقنية السرد الاسترجاعي وذلك باختراق الزمن الروائي اختراعا رجوعيا، الأمر الذي يوقع لونا من الحركية بين الماضي والحاضر ويكسر رتابة السرد الروائي[3].

[1]– حمزة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية " الرماد الذي غسل الماء " ل: عز الدين جلاوجي، ص : 156 .

[2]– صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987، ص: 326 .

[3]– ينظر : يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997، ص: 80 .

من صور استرجاع المكان ما صنعه الكاتب وذلك في تذكر سعيد إذ يقول الكاتب: «عاد إلى ذاكرته حادث وفاة جده الحاج البشير قبل ثلاث سنوات، عندما سمع بوفاته توجه رأسا إلى القرية التي يسكنها، ركب سيارة أجرة إلى هناك نظر إليه السائق مستطلعا، لأنه يعرف كل ركاب السيارة، فسعيد هو الغريب الوحيد بينهم سأله سائق السيارة متثبتا:

-إلى النخلة ؟

-نعم

-وهنا تذكر السائق وفاة الحاج البشير في ذلك اليوم

-فأضاف:

-أذاهب إلى بيت الحاج بشير ؟

-نعم

-هل هو قريبك ؟

-انه جدي». [1]

...

«جالت في ذهن سعيد أسئلة وخواطر عديدة حول هذه المقبرة المقدسة بالنسبة لأهل القرية النخلة.

لماذا يهتم الناس بموتاهم ؟

لاشك أن أشياء كثيرة تضفي على مقبرة البياضة شيئا من القداسة، فهي أيضا تسمى مقبرة سيدي العيد». [2]

ويستمر التساؤل على الوتيرة نفسها بخصوص الحديث عن أهمية المقبرة ودلالات اختيارها.

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 10.

[2]- المصدر نفسه، ص: 11- 12 .

لقد انشغل المؤلف باسترجاع المكان أكثر من انشغاله باسترجاع الأحداث، عاد إلى الماضي لتقديم ذكريات "سعيد" في هذه المقبرة، وقد كانت تمثل له جملة من الأسئلة كون أهل القرية يهتمون بدفن موتاهم فيها ويقدسونها إلى ابعد الحدود، لقد جعل من الذاكرة وسيلة لاسترجاع القداسة القديمة للمقبرة، فهو يتذكر المكان "المقبرة" التي دفن فيها جده الحاج بشير والتي سيدفن فيها الطفل ابن صالح، فالمقبرة لدى الكاتب مكان له دلالات متعددة أهمها دلالة العلاقة الحميمية بين المكان وأهل القرية، وقد ركز على كشف مميزات المكان وماله من بواعث جمالية وفنية في النص الروائي.

لقد عمد الروائي أحمد زغب إلى استرجاع أهم الأحداث التي تعرضت لها الشخصية في المشهد الأول، ثم في المشهد الثاني.

هذا الاسترجاع في الحقيقة للزمن الماضي وللمكان في آن واحد، فقد أراد الكاتب أن يعرف القارئ بقصة "حورية" وعلاقتها بنفطة — بتونس- وقد كشفت لنا الرواية أثناء السرد هذه العلاقة، وبقليل من التأمل نجد أن حورية في معرض حديثها عن قصتها مع سعيد وكيفية التقائها بعمار وأخيها الحاج منصور، وكذا زواج ابنتها بعمار وكيف أنها رجعت إلى البلاد ووفاة ابنتها بعد ذلك، قد صورها الكاتب بطريقة عمد فيها إلى تقليص الزمن تقليصا غير حسي وغير شعوري، والدليل على ذلك فترة رجوع "عمار" إلى الجزائر وإقناع والدته بالزواج من تونسية – ليلى- ابنة حورية، وذلك من أجل إعطاء جمالية تسريع السرد وصولا إلى عنصري التشويق والإثارة.

بدت علاقة الزمن بالمكان «علاقة عضوية وثيقة»[1]، ومن هنا نستخلص أن طبيعة المكان تمتزج في الزمن وتقلصه، كما تفرض على الشخصيات إنجاز المستحيل في مدة زمنية معينة، فقد أسهم هذا التقلص الفني في بناء الرواية بناءً فنيا متميزا.

ومن الواضح براعة الكاتب المتميزة في تقديمه لأحداث القصة التي أثث بها بعض مقاطعها في قالب جمالي.

[1]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص: 327.

ثالثا: المكان والحدث

يتميز النص الروائي من الناحية البنائية بتعدد الأحداث وتتابعها، ونظرا لأهميته الكبرى يعتبر الحدث الروائي أحد مكونات الخطاب السردي، فقد أولته السريات عناية كبيرة، فأصبح يشكل عنصرا مهما في الأعمال السردية القائمة على الحركة والحيوية.

يدخل الحدث الروائي في علاقة حميمية مع المكان، فلا يمكن تصور وقوع أي فعل خارج نطاق المكان، ذلك أن الأمكنة في الحكي هي التي تحتوي جميع الأحداث من بداية السرد إلى النهاية، كما أن علاقة المكان بالحدث علاقة وطيدة وقوية لأن «وقوع حدث يفرض تعيين موضع له وما لم يأت ذكر المكان يظل من المتعذر الشروع في المغامرة، أو اختلاقها، إن المحكي يتأسس فيما يتموضع»[1]. ونعني بذلك أنه لا يمكن وقوع الحدث إلا بوجود المكان فغيابه يعني غياب الحدث لأن المسرح هو الذي يشمل كل أفعال الشخصيات ويحتويها، كما أن غياب الحدث بالمكان يؤدي إلى فقدان الحركة فيه، فالعلاقة التي بينهما يمكن أن نقول عليها أنها علاقة تلازمية، فإذا ذكر الحدث المؤلف السردي يفرض علينا ذكر المكان.

لقد تعددت الأحداث في رواية "**المقبرة البيضاء**" المقترنة بالأمكنة منها بيت الحاج منصور الذي كان له قيمة سردية من خلال تأطير وتنظيم الحدث فيه يقول الراوي في وصفه للحدث المصاحب لهذا المكان: «النساء يحتشدن في ساحة الحوش، يرفعن أصواتهن بالزغاريد تارة، وبالدعاء لأهل الدار والعروسين تارة أخرى، كل واحدة منهن تحاول أن تتفنن في أناقتها فتلبس أحسن ما لديها من ثياب وأغلى ما لديها من فساتين وتحاول أن تستعرض أكبر قدر ممكن من الحلي، وتحاول أن تجلب النساء إليها، أما العجائز فيقمن بدورهن حلقة ويرسلن أصواتهن المتثاقلة بأغانيهن التقليدية:

هذا النهار المبارك والأخر سعيد إلى حصر محمد وسيدي عبيد...

[1]- جيرار جنيت وآخرون، تر: عبد الرحيم جزل، الفضاء الروائي، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002، ص: 74.

أورورورووووي...»[1]

في هذا النص السردي وجود الحدث افترض وجود مكان ما تجري في إطاره طبيعة عبرت على طبيعة المكان، فالشخصيات التي قامت بحدث الاحتفال بالعرس في بيت " الحاج منصور" عبر عن طبيعة المكان الفرح فلو لا وجود هذا الحدث لما توصلنا إلى استنتاج هذه الطبيعة التي تميز بها مكان البيت.

كما يمكن أن تكون طبيعة المكان مساعدة على وقوع الحدث، كمكان الشارع أمام بيت الحاج منصور وهو المكان الذي ساعد على وقوع شجار بين صالح والحاج منصور من اجل قطعة الأرض يقول الراوي: «هكذا أجاب صالح وهو يكاد ينفجر حنقا وغيضا، ثم تراجع إلي خارج البيت، وطلب من أخيه وابن أخته بالدخول، وذهب يهرول بخطوات واسعة...متوجها إلى بيت الحاج منصور، وما إن وصل الباب حتى ضربه بعنف شديد ثم صاح بصوت متهدج:

الحاج... الحاج... منصور... الحاج !!!"

وفي هذه اللحظة برز الحاج منصور..... صباح الخير يا عمي الحاج

صباح الخير. ثم أردف:

الله يهديك يا بني !

وهنا ثار صالح من جديد إذ فهم من نبرة الحاج ومن سياق كلامه انه ينحي عليه باللائمة.

الله يهديك أنت... أنا لا أعتدي على جيراني..»[2]

كانت طبيعة هذا المكان عاملا مساعدا لوقوع الشجار بين الجار وجاره فمن خلال المقاطع السردية، نلاحظ أن المكان يفرض في بعض الأحيان أحداثا معينة.

[1]- أحمد زغب، المقبرة البيضاء، ص: 26 – 27 .

[2]- المصدر نفسه، ص: 102 – 103 – 104 – 105 .

إذن علاقة المكان بالحدث علاقة تلازمية لا يمكن فصلها، لأن هذا التلازم من شأنه أن يسهم في انسجام وتماسك العمل السردي في الرواية، ذلك أن المكان الذي يرتبط بالحدث أطر ونظم المادة الحكائية.

الخاتمـة

من خلال ما سبق وما ذكرنا اتضح لنا أن هذا موضوع المكان من أهم الموضوعات المؤثرة في حياتنا، كما أنه مهم بقدر الأهمية السابقة في العمل الروائي، وذلك لأنه مكون تقوم عليه الرواية فلا يمكن الاستغناء عنه.

وبعد استعراض الدلالات الجمالية للمكان في الرواية، خلص البحث إلى النتائج الآتية:

1- تشعب وتعدد مفاهيم المكان الروائي، فقد اختلفت وتداخلت فيما بينها وقد أعطيت تسميات أخرى معادلة له كمصطلح الفضاء.

2- إن عنوان الرواية كعتبة نصية أخذ أهمية بالغة فقد حمل دلالة مكانية صريحة وحقيقية، وشكل مفتاحا جماليا للنص.

3- يعتبر المكان أحد مكونات البنية الحكائية للرواية، ولا بد من تفكيك بنياته لفهم الإطار العام للأحداث، فمن دون المكان لا تقوم الرواية كعمل أدبي ناجح.

4- جاء وصف المكان في الرواية ماديا يحمل دلالات متعددة، فقد تخلل هذا الوصف لحظات السرد.

5- يعتبر مكان المقبرة الأكثر جمالية وذلك أنه وصف بدقة مما جعله معلوما ومعروفا لدى القارئ ولدى الشخصية الحكائية.

6- لم يكن مكان المقبرة في رواية المقبرة البيضاء مجرد إطار تجري فيه الأحداث وإنما عبر عن ثقافة مجتمع ريفي في تعظيم هذا المكان على الرغم من وحشته والحزن الذي فيه، مما أدى إلى بروز جماليته الفنية.

7- وظف الروائي أحمد زغب معظم الأمكنة في الرواية (البيوت، المحطة...) دون تحديد دقيق لأسمائها ودون وصف يمنحها حقيقتها أو هويتها، فقد كانت مجرد مكان تجري فيها الأحداث،

وظهرت حركتها إلا من خلال وجود علاقة حميمية أنتجها عنصر الاحتكاك والتواصل فسّر طبيعة الشخصية في تفكيرها ونمط حياتها.

8- استمد الراوئي "أحمد زغب" بعض عناصره المكانية من الواقع حيث أنه وظف أسماء حقيقية كمدينة البياضة، قرية النخلة، مسجد سيدي العيد بن يامة، وبذلك وضعنا النص الروائي (المقبرة البيضاء) أمام الإيهام بواقعية المكانية بواسطة صفة التسمية والتعيين.

9- إن المكان مقوم سردي حاضر بقوة وله علاقة تلازمية مع العناصر السردية الأخرى في الرواية، فلا ينبغي النظر إلى الأمكنة على أنها ديكور خارجي لا علاقة له بالعناصر السردية الأخرى، بل ينبغي أن يكون جزء منها وعنصرا مؤثرا يحمل دلالات متعددة.

10- لا تتشكل الشخصية إلا في المكان، وهذا المكان هو الشاهد على وجودها، كما يتنوع المكان في زمنه، وتتعدد الرؤى إليه وفق معطيات السرد، أما الحدث فهو مرتبط بالمكان من حيث وجوده في الأساس.

11- تبلور المكان من خلال حركة الشخصية واقترانه بها، فجاء مفسرا لسلوكها وعاكسا لطبيعتها.

كانت هذه أهم النتائج التي خلص إليها البحث، ونرجو في الأخير أننا قد وفقنا ولو بالشيء القليل في إعطاء لمحة وجيزة عن جمالية المكان في رواية المقبرة البيضاء، فقد كانت رحلتي قصيرة وجاهدة في هذا البحث للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الأفكار، ولا أدعي فيه الكمال ولكن عذري أنني بذلت فيه قصارى جهدي فإن أصبت فذاك مرادي وإن أخطئت فلي شرف المحاولة والتعلم.

قائمـة

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. **إبراهيم أنيس وآخرون:** معجم الوسيط، مادة(شخص)، القاهرة، مصر، 1872.
2. **رضا أحمد:** معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، المجلد 5، 1960.
3. **الزبيدي:** تاج العروس، تر: علي بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع باب النون مجلد 18، (د–ط)، (د– ب)، 1994.
4. **زغب أحمد:** المقبرة البيضاء، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
5. **صبحي حموي:** أنطوان نعمة، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت، 2001.
6. **الفيروز أبادي:** القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي بيروت، ج2، 1997.
7. **ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم أبو فضل:** لسان العرب، المجلد 13 دار صادر، بيروت، ط1، 1990.

ثانياً: المراجع

*المراجع العربية:

8. **بحراوي، حسن:** بنية الشكل الروائي، (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
9. **بودیبة، إدريس:** الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000.
10. **حبيلة، الشريف:** بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، (د، ب)، ط1، 2010.

11. **حسنين، أحمد طاهر وآخرون:** جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط2، 1988.

12. **حمداوي، جميل:** مستجدات النقد الروائي، (د-ب)، ط1، 2011.

13. **سعيد، يقطين** ، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997.

14. **سعيد، يقطين،** تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1989

15. **السيد الحديدي، عبد اللطيف،** الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي، القاهرة، مصر، ط1، 1996.

16. **شاهين، أسماء:** جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001.

17. **صابر، محمد وآخرون:** جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية " مدارات الشرق لنبيل سليمان"، ط1، دار الحوار، سوريا 2008.

18. **الضبع مصطفى:** استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د—ط)، 1998.

19. **عبيدي، مهدي:** جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار- الدقل - المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.

20. **عثمان، اعتدال:** إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، لبنان،(د-ط)، 1988.

21. **عزام، محمد:** شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق (د-ط)، 2005.

22. **عوين، أحمد:** دراسات في السرد الحديث والمعاصر، دار الوفاء، (د،ب)، ط1، 2009.

23. **فضل، صلاح:** نظرية البنائية في النقد الأدبي دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط3، 1987.

24. **الفيصل، سمر روحي** ، الرواية العربية البناء والرؤية، مقاربات نقدية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د–ط)، 2003.

25. **الفيصل، سمر روحي**: بناء الرواية العربية السورية، اتحاد كتاب العرب، دمشق 1995.

26. **قاسم، سيزا** ، بناء الرواية، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

27. **قاسم، سيزا**، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، (د–ط)، 1985.

28. **محبك، أحمد زياد**: دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2012.

29. **محبك، أحمد زياد**: متعة الرواية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

30. **محمد علي، عبد المعطي**: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 1984.

31. **محمد عويد محمد ساير الطوبولي**: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، 484 هـ.797 هـ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط 1، 2005.

32. **مرتاض، عبد الملك**: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، (د،ط)، 1998.

33. **المرزوقي سمير ، جميل شاكر**، مدخل إلى نظرية القصة، دار الشؤون الثقافية بغداد، 1986.

34. **مرشد، أحمد**: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005.

35. **النابلسي، شاكر** ، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 1994.

36. **نجم، محمد يوسف: فن** القصة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

37. **نجمي، حسن:** شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

*المراجع المترجمة:

38. **أندرسون، أنريكي:** القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة: علي إبراهيم علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،(د – ط)، 2000.

39. **باختين، ميخائيل:** الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1987.

40. **باشلار، غاستون:** جماليات المكان، تر : غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان،ط2، 1984.

41. **جنيت، جيرار وآخرون:** الفضاء الروائي تر: عبد الرحيم جزل، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002.

42. **هينكل، روجرب:** قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، دار غريب، القاهرة، ط1 2005.

ثالثاً: المجلات

43. **أحمد سعدون شلاش، غيداء،** المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهوماتية مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2.

44. **بان محمد حمدي، صلاح الدين** ، الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد 11، العدد 1

45. **حسن خضر، خالدة،** المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، قسم اللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد 112.

46. **حسون السعدون، نبهان**، الشخصية المحورية في رواية "عمارة يعقوب لعلاء الاسواني، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، المجلد 13، العدد 1، 2014.

47. **حسين حسين، خالد**، شعرية المكان في الرواية الجديدة، (الخطاب الروائي لادوارد الخراط نموذجا)، كتاب الرياض، منشورات مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد : 83، 2000.

48. **زوزو، نصيرة**، بناء المكان المفتوح في رواية "طوق الياسمين بواسيني الأعرج" مجلة المخبر، العدد الثامن، 2012.

49. **زوزو، نصيرة**، بنية الزمن في رواية "شرفات بحر الشمال" جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي.

50. **زوزو، نصيرة**، سمياء الشخصية في رواية "حارسة الظلام" لواسيني الأعرج، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9.

51. شريبط أحمد، شريبط، بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة، الجزائر 1997، العدد 115

52. **الضبع، مصطفى**، مجلة وجهات نظر، المقهى في الرواية العربية، العدد 11، يوليو، 2000

53. **فتاح علي، عبد الرحمان**، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات قسم اللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد 102.

54. **مرشاد، أحمد**، جدلية الزمان والمكان في روايات عبد الرحمان منيف، فؤاد المرعي، مجلة بحوث جامعة حلب، 1992.

55. **يونسي محمد، عبد الرحمان**، الفضاء الروائي في الرواية اليمنية ، مجلة الموقف الأدبي، ع 301، آيار، 1996، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا.

رابعاً: المقالات

56. **بروينـي، خليـل**، بنـاء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، فصيلة اضاءات نقدية، السنة 4، العدد 14، 2014.

57. **التازي، محمد عز الدين**، الرواية والفضاء الروائي، مداخلة مقدمة لندوة الرواية العربية، رابطة أدباء الجنوب، أغادير من 27 إلى 30 ماي 2011.

58. **رحماني، علي**، الملتقى الدولي الخامس (السمياء والنص الأدبي)، سيمائية العنوان في روايات محمد جبريل (الأسوار، حكاية الفصول الأربعة، حكايات وهوامش من حياة المبتلى)، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة.

خامساً: المذكرات

59. **بلحارث، بلقاسم**، جماليات المكان في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للحاج ناصر الدين الديني والحاج سليمان بن إبراهيم، مذكرة ماجستير، جامعة اكلي محند والجاج قسم اللغة العربية، 2014-2013.

60. زغودة، إسماعيل، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض، مذكرة دكتوراه، جامعة أبي بكر بالقايد، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013-2014.

61. بن عباس، ليندة، بنية الشخصية في رواية " التبر" لإبراهيم الكوني، مذكرة ماستر جامعة محمد بوضياف، قسم اللغة العربية، 2014 – 2015.

62. **عبـد العـالي، حمـزة**، البنيـة الزمكانيـة في روايـة " الرمـاد الـذي غسـل المـاء " ل: عـز الـدين جلاوجي، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2011-2012.

63. **المحمود، صفاء**، البنية السردية في روايات خيري الذهبي " الزمان والمكان، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2009-2010.

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....أ

الفصل الأول: مــاهية المكان وأنواعه

المبحث الأول: مفهوم المكان.....6

أولا: المكان في اللغة والاصطلاح.....6

1- المكان في اللغة.....6

2- المكان في الاصطلاح.....7

أ- المكان من منظور اجتماعي.....7

ب- المكان من منظور ديني.....8

ج- المكان من منظور فلسفي.....10

د- المكان من منظور فني (روائي).....11

ثانيا: أهمية المكان الروائي.....17

ثالثا: أنــواع المــكان.....19

المبحث الثاني: المكان والعناصر السردية الأخرى.....21

أولا: مفهوم الشخصية.....21

أ- تعريف الشخصية في اللغة.....21

ب- تعريف الشخصية في الاصطلاح.....21

ج- أنواع الشخصيات.....24

د- علاقة المكان بالشخصية.....25

ثانيا: مفهوم الزمن.....26

أ- مفهوم الزمن في اللغة 26

ب- مفهوم الزمن في الاصطلاح 27

ج- المفارقة الزمنية.....28

د- علاقة المكان بالزمن 29

ثالثا: مفهوم الحدث.....30

مفهوم الحدث.....30

علاقة المكان بالحدث.....31

الفصل الثاني: علاقات المكان بالسرد الروائي

المبحث الأول: جمالية اختيار الأمكنة السردية في الرواية.....34

تمهيد.....34

أولا: جمالية العتبة المكانية.....37

ثانيا: البعد الروائي للمقبرة.....39

ثالثا: أنواع الأمكنة في الرواية.....43

*الأماكن العامة والخاصة الواردة في الرواية.....44

1-الأماكن العامة 44

2-الأماكن الخاصة 47

المبحث الثاني: علاقة المكان بالعناصر السردية (الشخصية والزمن والحدث) في الرواية.51

أولا: المكان والشخصية.....51

1-الشخصيات الرئيسية.....51

2-الشخصيات الثانوية.....57

ثانيا: المكان والزمن.....58

ثالثا: المكان والحدث.....61

خاتمة.....65

قائمة المصادر والمراجع.....68

فهرس الموضوعات.....75

تم بحمد الله